



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

توحيد وبيان

تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية

د محمد بن سعد الشويعر

الطبعة الثالثة

١٤١٩ هـ

③ الجامعة الإسلامية ؛ ١٤١٩هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشويعر، محمد سعد

تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية - المدينة المنورة.

١٤٠ ص ؛ ٢٤×١٧ سم

ردمك : ٧ - ٠٨٢ - ٠٢ - ٩٩٦٠

١ - الدعوة السلفية - السعودية ٢ - محمد عبد الوهاب بن سليمان، ت

١٢٠٦هـ أ - العنوان

٢٠/٠١٤٣

ديوي ٢١٧.٢



بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة إدارة البحوث العلمية والأفناء
مكتب المفتي العام

تفويض لمن بهمه الأمر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد الصادق الأمين وبعد :-
فاستناداً على فتوى سماحة والدنا مفتي عام المملكة الشيخ الجليل
عبدالعزیز بن عبد الله بن باز بجريدة الرياض العدد ١٠٧٦٣ السنة الرابعة
والثلاثين الصادر يوم الجمعة ١٢ شعبان عام ١٤١٨ هـ الموافق ١٢ ديسمبر
١٩٩٧م حول عدم احتكار المؤلف للكتاب الذي ألفه الذي اقتنع بأن كتابه
مفيد ، لأن هذا يدخل في كتمان العلم إلى آخر ما جاء في فتاوى سماحته ..
وحيث أن كتابي تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية قد نفع الله به فإنتني
اسمح للجامعة الإسلامية ولغيرها بطباعته وبدون عوض إلا رجاء الأجر من
الله سبحانه وترجمته أيضاً للغات الأجنبية تحت إشراف الجامعة ، وإن تفضلوا
علي بعض النسخ للإطلاع والإهداء فلهم مني الدعاء ومن الله الأجر حول الله
وقوته جعله الله من العلم النافع المستمر. والله الموفق لكل خير والسلام
عليكم ورحمة الله وبركاته ،

المؤلف المستشار بمكتب سماحة مفتي عام المملكة

ورئيس تحرير مجلة البحوث الإسلامية



د . محمد بن سعد الشويعر



التاريخ : ١٤١٩ / ١٢ / ١٤

الرقم :

المشفوعات :

مقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين : أما بعد

فإن الجامعة الإسلامية مؤسسة علمية وثقافية، تعمل على هدى الشريعة الإسلامية، وتقوم بتنفيذ السياسة التعليمية بتوفير التعليم الجامعي، والدراسات العليا، والنهوض بالبحث العلمي، والقيام بالتأليف والترجمة والنشر، وخدمة المجتمع في نطاق اختصاصها .

لذا رأت طباعة هذا الكتاب القيم (تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية) لمعالي الدكتور محمد بن سعد الشويعر، وهو كتاب يطابق عنوانه يوضح خطأ تاريخياً بسببه حصل التجني على شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ودعوته إلى التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، كما هي دعوة الرسل من أولهم إلى خاتمهم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعليهم وسلم، وحصل سوء الفهم الذي استغله أعداء الإسلام والمسلمين للتفريق بينهم وتمزيق وحدتهم، فلعل هذا الكتاب القيم يسهم في إزالة اللبس وتصحيح مفاهيم خاطئة وكبت نوايا فاسدة .

أدعو الله أن ينفع به الإسلام والمسلمين وأن يجزي مؤلفه خير الجزاء .

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

مدير الجامعة الإسلامية

د . صالح بن عبد الله العبود

بسم الله الرحمن الرحيم سبب التأليف

كنت قد أخرجت كتاباً صغيراً، باسم تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية، يقع في ١١٠ صفحات تقريباً، وطبع للمرة الأولى بتطوان بالمغرب عام ١٤٠٧ هـ، وطبعته دار المعارف بالرياض الطبعة الثانية عام ١٤١٣ هـ، أوضحت فيه، بأن خصوم دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب . وأعداء دين الله الحق، من أرباب المصالح الدنيوية، ممن يريد إطفاء نور الله، والتصدي لمن يريد أن يحقق التوحيد الذي أمر به الله، وأرسل به رسله من أولهم إلى آخرهم : دعوة وتطبيقاً، وتنقية من مداخل الشرك .

فوجدوا دعوة خارجية أباضيّة، في شمال إفريقيا، نشأت في القرن الثاني الهجري، باسم الوهابية، نسبة إلى عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم الخارجي الأباضيّ، ووجدوا فتاوى من علماء المغرب والأندلس ممن عاصرها، أو جاء بعدها، فأرادوا شيئاً عاجلاً، يحقق الغرض، وينهض الهمم لإسكات الدعوة الجديدة، خوفاً من توسّع الدائرة الإسلامية، حيث قامت الدولة السعودية الأولى مناصرة للدعوة التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب - فتصافحت يدا الإمامين : محمد بن سعود ومحمد بن عبد الوهاب رحمهما الله في عام ١١٥٧ هـ، على القيام بهذه الدعوة، نصرة لدين الله وأداء لأمانة التبليغ . .

فوفق الله، ولقيت الدعوة قبولاً وتأييداً، حيث امتدت إلى العالم الإسلامي كلّهُ، وتأثر بها العلماء من الحجاج، وبدأوا في نشرها ببلادهم . .
فخاف المتنفعون دنيوياً، من آثارها، ووجدوا الضّالة في الوهابية الرستمية، المدفون خبرها في سجلات التاريخ، فنبّشوا في فتاوى العلماء

حولها . وكانت فرصة بإلباس الثوب القديم ، للدعوة الجديدة . ووجدت الإشاعة صدى في النفوس ، لأن أرباب المنافع الدنيوية جهدوا في التّمويه والتّشويه ، والناس عادة يتلقفون الكذب اكثر من اهتمامهم وتحرّيمهم للصدق . ولذا فإن للإشاعات دوراً كبيراً في تغيير المفاهيم ، ووضع تصوّراتٍ تغاير الواقع . . بحسن نية أو سوء فهم . وفي حدود عام ١٤٠٧هـ ، كان نقاش علّمي ، مع أحد علماء المغرب ، حول دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - حقق نتيجة مرضية ، وصحح مفهوماً تاريخياً سائداً ، وقد رغب إليّ اكثر من أخ كريم ، ذكر سبب تأليف تلك الرسالة كتابياً ، حيث ذكرتها لهم شفويّاً ، لأنها أمكن في البلاغ ، ويطلع عليها أكبر عدد ممكن ، حيث تبقى حيّة لمن يريدّها . واستجابة لذلك أقول :-

قد يكون من المناسب الاشتراك مع القارئ في السبب الذي من أجله كتبت : تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية ، لأن الله قد جعل لكل شيء سبباً ، فكان هذا الحوار ، الذي تولّد عنه النقاش العلمي المقنع ، والحوار الهادئ المثمر ، هو السبب المباشر لكتابة هذه الرسالة .

ففي عام ١٤٠٧هـ ، كنت في مهمة لموريتانيا ، ثم عرّجنا على السنغال ، وقد كان خطّ سير الطيران ملزماً لنا بالبقاء في المملكة المغربية ستة أيام .

وفي أحد الأيام كنت في ضيافة أحد الأساتذة بإحدى الجامعات هناك ، وأرمر له ب : الدكتور عبد الله . وفي جلسة بمكتبته ، دارت أحاديث شتى ، ومن محبته للمملكة ، وحضوره مؤتمرات عديدة بها ، طرح عليّ هذا السؤال ، أمام الحاضرين وعددهم ، يقارب الاثنى عشر شيخاً ، من فضلاء البلاد هناك :-

قال : إننا نحب المملكة ، ونفوس المسلمين وقلوبهم تهفو إليها ، وبيننا

وبينكم تقارب كبير وتفاهم بين القيادات ، وإعجاب بما يؤديه حكام وعلماء المملكة من جهود مخلصة ، للإسلام والمسلمين ، ولكن حبذا لو تركتم المذهب الوهابي ، الذي فرق بين المسلمين؟! .

فأجبت: قد يكون علق بالذهن معلومات خاطئة ، مأخوذة من غير مصدرها السليم ، ولكن حتى تلتقي المفاهيم ، نحب أن نطرح الموضوع بحضور الإخوة للنقاش العلمي ، المقرون بالبراهين . . ثم قلت :-

ولما كان كل إنسان ترتاح نفسه ، ويطمئن قلبه ، لما ألفه علماء بلده ، فإنني في هذا الحوار لن أخرج عما في محتويات هذه المكتبة ، التي تضمننا جدرانها الأربعة لأنك كما تراني الآن لأحمل كتباً ، ولم يخطر ببالي مثل هذا النقاش .

ولذا وقبل أن نبدأ: أرجو أن يكون نقاشنا بعيداً عن التعصب والانفعال ، أو طرح الآراء بدون دليل مقنع يعول عليه ، لأن نشدان الحقيقة هو هدفنا ، والامتنال لأمر الله وأمر رسوله ﷺ هو غايتنا ، ونصرة دين الله هو المؤمل من كل منا .

قال : أوافقك على هذا ، وأصحاب الفضيلة المشايخ هم الحكم بيننا .
قلت : رضيت بذلك ، وبعد التوكل على الله أرجو أن تطرح أيّ مدخل للحوار .

قال : خذ مثلاً مذكره النشرسي في كتابه المعيار الجزء ١١ ، وهو قوله :
سئل اللخمي عن أهل بلد بنى عندهم الوهابيون مسجداً ، ما حكم الصلاة فيه؟ (١) .

(١) انظر المعيار المغرب ، في فتاوى أهل المغرب ج ١١ ص ١٦٨ ، والسؤال في المعيار أوسع مما ذكر هنا .

وللمعلومية : فإن كتاب المعيار هذا ، هو كتاب يجمع الفتاوى في الفقه المالكي ، جمعه أحمد بن محمد الونشريسي ، وطبع في ١٣ مجلداً ، وقد طبعته الحكومة المغربية ، وتوزع منه نسخ بالإهداء .

بعد طرح السؤال ، واحضار الكتاب المذكور جـ ١١ ، أجبته : بأن الفتوى على هذا السؤال صحيحة ، ونوافق اللّخمي على ما جاء في فتواه .

قال : إذاً اتفقنا على هذه الفرقة ، وخطأ ماتسير عليه ، خاصه وأن المفتي قال : هذه فرقة ، خارجيّة ضالة كافرة ، قطع الله دابرها من الأرض ، يجب هدم المسجد ، وإبعادهم عن ديار المسلمين .

قلت : لم نتفق بعد ، ولازلنا في بداية الحوار . . ولعلمك : فإن هذه الفتوى لها نظائر كثيرة قبل اللّخميّ وبعده ، موجودة لدى علماء الأندلس ، وفقهاء شمال أفريقيا ، وهي مستمدة من حكم رسول الله ﷺ في الخوارج ، الذين قاتلهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه في النهروان .

وفي نقاشنا هذا ، سوف نصل بإذن الله ، إلى تصحيح المفهوم التاريخي ، بين ماتعنيه هذه الفرقة ، التي أفتى علماء الإسلام في الأندلس ، وشمال أفريقيا بشأنها ، وبين التسمية التي الصقت وصفاً مستهجنأ ، بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله التصحيحية . هذا التصحيح لن يكون مقنعاً إلا بقرائن وبراهين ، مرضية عندكم ، لأن رائدنا جميعاً الوصول إلى الحقيقة لذات الحقيقة . . والرأي الهاديء المقنع هو الذي تنجلي به الغشاوة وتصحح المفاهيم .

قال : كلنا نريد الوصول لهذه الحقيقة . . ثم قال : وبعد هذه الفتوى ، نريد أن تعطينا ماعندك ، ونحن نستمع والإخوة يحكمون بيننا ، ويصوّبون أو يخطئون مايقال ، أو يعرض أمامهم .

قلت: سترون - إن شاء الله - ، ماينير الطريق لمن يريد الوصول للرأي الصائب، في استجلاء الأمر، ولهذا: نبدأ بما لدينا من أجزاء المعيار. .

ولعلك تقرأ طرّة الكتاب لسمع الإخوة؟ .

قال: تريد الفتوى حتى أقرأها أمامهم، أم أبدأ بما على الغلاف الخارجي من معلومات؟؟ .

قلت: بل الغلاف الخارجي . . أو الداخلي فهما سواء . .

فقرأ: الكتاب المعرب في فتاوى أهل المغرب، تأليف: أحمد بن محمد الونشريسي المتوفى عام ٩١٤هـ، بفاس بالمغرب .

قلت لأكبر المشايخ سنّاً، وهو شيخ وقور، هادىء الطبع، اسمه أحمد: ياشيخ أحمد سجّل تاريخ وفاة المؤلف أحمد الونشريسي . . فرصد ذلك عام ٩١٤هـ .

ثم قلت: هل من الممكن احضار ترجمه اللّخميّ؟ .

قال: نعم . . ثم قام إلى رفّ من رفوف المكتبة فأحضر جزءاً من أحد كتب التراجم، وفيه ترجمة: على بن محمد اللّخمي، مفتي الأندلس وشمال أفريقيا والترجمة طويلة، وفيها ثناء عليه وعلى علمه . . فقلت: إن بيت القصيد في نهاية الترجمة: فمتى توفي؟ .

قال القارىء: وتوفي عام ٤٧٨هـ (١) .

فقلت للشيخ أحمد: أكتب تاريخ وفاة الشيخ على اللّخمي، فكتبه في عام ٤٧٨هـ .

(١) الحلل السندسية ص ١٤٢، والأعلام للزركلي ٥: ١٤٨، وفي الحلل السندسية أنه توفي بسفاس .

فقال الدكتور عبدالله : هل تشك في علمائنا وفي فتاواهم ؟ .

قلت : ومادليلك على هذا الشك ؟ . ثم التفت إلى المشايخ . . وقلت : هل بدر مني مايدعو إلى الشك التي أوجبت هذا القول ؟ . فكان الجواب بالإجماع : النفي .

قلت : ولكي أنفي الشك عني ، وعن علمائنا في بلادني ، فإننا نحترمهم ونجلّهم ، ونصوّب كل فتوى تصدر عنهم ، يدعمها الدليل من الكتاب الكريم ، والصحيح من سنة رسول الله ﷺ . ولكن الوصول إلى مابدأنا الحديث من أجله ، مقرونًا بما يدعمه ، يحتاج إلى شيء من الأناة والصبر .

ومن باب استعجال الجواب : أطرح على الجميع هذا السؤال : هل يمكن أن يفتي العلماء على معتقد لم يوجد صاحبه الذي ينسب المعتقد إليه بعد ، أو الحكم على ملّة من الملل لم تظهر بعد ؟؟؟!! .

قالوا جميعاً : لا . . ولم يعرف هذا ، إلا ماجاء عنه إخبار من رسول الله ﷺ . وهذا من معجزات النبوة ، وفي الغالب يأتي بالوصف دون المسمى .

قلت : موجهاً الكلام لمحدّثي : الست تعتقد ويعتقد غيرك أن الوهابية ، أول من أنشأها محمد بن عبد الوهاب في نجد ؟ . قال : بلى .

قلت : إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، عندما أفتى اللّخمى ، وغيره من علماء المالكية في الأندلس . وفي الشمال الإفريقي ، كان أكثر من اثنين وعشرين من أجداده لم يولدوا بعد ، باعتبار أن المتوسط لكل قرن ثلاثة جدد ، كما أن بين وفاة عبد الوهاب بن رستم ووفاة الشيخ محمد بن عبد الوهاب مايقرب من واحد وثلاثين جداً . وعلمائكم ، وعلماء المسلمين لايعلمون الغيب ، وننزّههم عن الكهانة والسحر ، وعن القول في أمر

لا يعلمونه، يقول سبحانه: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ (١)

قال: أوضح أكثر..!! .

قلت: إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ولد عام ١١١٥ هـ، ومات سنة ١٢٠٦ هـ، وبينه وبين أحمد الوشرسي الذي ألف كتاب المعيار، ونقل الفتوى عن اللّخمى - كما مرّ بنا - مئتان واثنان وتسعون سنة «٢٩٢» وفق تاريخ الوفاة، كما أن بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب وبين اللّخمى . وهو صاحب الفتوى سبعمائه وثمانية وعشرون عاماً «٧٢٨» وفق تاريخ الوفاة، وفق ماسجل الشيخ أحمد لوفاة كل منهما .

ويقاس على هذا كل من أفتى، من علماء الأندلس وشمال أفريقيا عن تلك الوهابية..

قال: هل يمكن أن توضح أكثر لما تعني.. بدليل مقنع؟ .

قلت: لم يهتم علماء الشمال الأفريقي والأندلس، بالفتاوى عن الوهابية والتحذير منها، إلا لأنها موجودة عندهم بخلاف ديار المسلمين الأخرى، التي وضّح فرقتها الشهرستاني في كتابه الملل والنحل (٢). وابن حزم في كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل (٣) .

وفي موضوعنا: ألا يوجد عندك كتاب: الفرق الإسلامية في شمال أفريقيا، الذي ألفه الفرنسي: الفردبيل، وترجمه للغة العربية: عبد الرحمن بدوى؟.. وهو جزء واحد .

(١) سورة النمل آية ٦٥

(٢) يراجع هذا الكتاب وهو جزءان، حيث لا توجد فيه فرقة باسم الوهابية .

(٣) يراجع هذا الكتاب وهو ٤ أجزاء، حيث لا توجد فيه فرقة باسم الوهابية .

قال : هاهو موجود . . ثم قام وأحضره .

قلت : فلنقرأ في آخره ، حرف الواو . . فقرأ أحدهم : الوهبة أو الوهابية : فرقة خارجية أباضية أنشأها عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ، الخارجي الأباضي ، وسميت باسمه وهابية . الذي عطل الشرائع الإسلامية ، وألغى الحج ، وحصل بينه وبين معارضيه حروب . . إلى أن قال : المتوفى عام ١٩٧ هـ ، بمدينة تاهرت بالشمال الأفريقي ، وأخبر بأن فرقته أخذت هذا الاسم : لما أحدثه في المذهب من تغيرات ومعتقدات ، وكانوا يكرهون الشيعة ، قدر كراهيتهم لأهل السنة ^(١) . وكان الفرد هذا قد تحدث في كتابه المنوه عنه : عن الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي من الفتح العربي حتى وقت المؤلف في العصر الحاضر تقريباً .

وعبد الوهاب بن رستم قد اختلف في تاريخ وفاته ، عند من كتب عنه ، ويرى الزركلي في الأعلام أن وفاته نحو ١٩٠ هـ ^(٢) .

عند ذلك قلت له وللحاضرين : هذه هي الوهابية التي فرقت بين المسلمين ، وصدرت بشأنها فتاوى من علماء وفقهاء الأندلس وشمال أفريقيا ، كما تجددون في كتب العقائد عندكم ، وهم محقون فيما قالوا عنها .

أما دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي ناصرها الإمام محمد بن سعود - رحمهما الله - السلفية التصحيحية ، فهي ضد الخوارج وأعمالهم ، لأنها قامت على كتاب الله ، وماصح من سنة رسول الله ﷺ ، ونبذ ما يخالفهما وهم من أهل السنة والجماعة .

والشبهة التي انتشرت في ديار الإسلام ، قد روجها أعداء الإسلام والمسلمين من مستعمرين وغيرهم ، لكي تبث الفرقة في صفوفهم ، فقد كان

(١) انظر ص ١٥٠ من هذا الكتاب ، ومن ص ١٤٠ إلى ص ١٥٢ منه .

(٢) الأعلام للزركلي ط ٥ «دار العلم للملايين ٥ : ١٩٨» .

المستعمرون يسيطرون على غالب العالم الإسلامي ذلك الوقت ، وهو وقت
عنفوانهم ، ويعلمون من واقع حروبهم الصليبية ، أن عدوهم الأول في تحقيق
مآربهم : الإسلام الخالي من الشوائب ، وتمثله السلفية ، ووجدوا ثوباً جاهزاً ،
ألبسوه هذه الدعوة تنفيراً ، وتفريقاً بين المسلمين — لأن مبدأهم فرق تسد —
، حيث أن صلاح الدين الأيوبي رحمه الله لم يخرجهم من ديار الشام إلى غير
رجعه ، إلا بعد أن قضى على دولة الفاطميين — العبيدين الباطنيين — من
مصر ^(١) ، ثم استقدم علماء من أهل السنة من الشام ، ووزعهم في الديار
المصرية ، فتحوّلت مصر من التشيع الباطنيّ ، إلى منهج أهل السنة ، الواضح
دليلاً وعملاً واعتقاداً .

فالمستعمرون خافوا من إعادة الكرة ، بعدما رأوا دولة التوحيد السنية ،
التي قادها الإمامان : محمد بن عبد الوهاب ، ومحمد بن سعود ، ثم من جاء
بعدهما ، تتسع أعمالها ، ويكثر المستجيبون لما تهدف إليه هذه الدعوة ،
ومعلوم لديكم أن المستعمر مادخل بلداً إسلامياً إلا حاول أقصاء أهل
السنة ، وتقريب أهل الأهواء والبدع ، لأنهم مطيته فيما يريد عمله في ديار
الإسلام .

كنت اعتقد أن هذا الجواب فيه إقناع . . لكن طرح أحدهم سؤالاً قال
فيه : ألا يكون محمد بن عبد الوهاب ، قد أخذ منهج السابقين ، وأحياء من
جديد ، واتبع طريقتهم؟! .

قلت : أولاً لبعد الاتصالات بين المكانين ، فإن المعلومات لاتصل ، ولم
يكن لدعوة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ذكر في تاريخ الجزيرة
العربية ، بل كما مرّ بنا ، لم يكن لها تصنيف عند الدارسين والراصدين للملل

(١) يراجع في هذا تاريخ الطبري ، والكامل لابن الأثير .

والنحل والأهواء، كالشهرستاني وابن حزم، ولا في ردود ابن تيمية، وابن رستم مات قبل هؤلاء بزمان. مما يدل على أن دعوة عبد الوهاب بن رستم «الوهابية» لم تتعدّ الشمال الأفريقي، والأندلس قبل ضياعها.

ثانياً: أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، تختلف عن دعوة جميع الفرق، المخالفة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، لأنها دعوة تجديدية على منهج السلف الصالح، ولم يأت بشيء يخالف ذلك.

ثالثاً: تسمية الدعوة التي قام بها الشيخ محمد «وهابية» نسبة إليه خطأ لغوي، لأن والده لم يقم بها. وإلا لاشترك في هذه النسبة الوالد وأولاده، ومحمد واحد منهم لتصبح نسبة مشتركة.

رابعاً: الشيخ محمد بن عبد الوهاب، في دعوته لا يوافق الخوارج الأباضية في آرائهم، ولا غيرهم من الفرق التي ذمّها علماء أهل السنة منذ نشأت في ديار المسلمين وكتبه ورسائله توضح ذلك.

خامساً: أما ما نسب إليه من أمور، فسوف آتى بشواهد — إن رأيتم في الوقت متسعاً — من كلامه وكلام تلاميذه بالتبريء مما نسب إليه كذباً وزوراً، ويقول في كلامه: سبحانه يارب هذا بهتان عظيم. فكيف ينسب للإنسان شيء هو يتبرأ منه؟؟!! .

لكن سوف نستكمل الحوار، ولعلنا نجد في هذه المكتبة — بحول الله — ما يزيل ما علق بالأذهان من شبهة؟ والحكمة ضالة المؤمن .

ثم قلت: ولعلنا نجد عندكم: كتاباً تاريخياً عن منطقتكم اسمه: تاريخ شمال أفريقيا من تأليف: أحد الغربيين في فرنسا. . واسم المؤلف: شارلي أندري، وقد ترجمه إلى اللغة العربية: محمد مزالي رئيس وزراء تونس الأسبق، والبشير بن سلامة. .

قال الدكتور عبدالله : نعم موجود . . فأحضره وهو ثلاثة أجزاء .

وباستعراض الفهارس : قرأنا في الجزء الثاني ، عن ممالك الخوارج ، ومن ضمنها مملكة تاهرت ، التي هي الدولة الرستمية ، حيث توسع المؤلف في الحديث عن معتقداتها واتساعها ومعالمها الحضارية ، وتسميتها بالوهابية ، نسبة إلى عبدالوهاب بن عبدالرحمن بن رستم ، الذي خالف أهل ملته ، كما أبان في عشر صفحات ، بأن هذه الوهابية — الرستمية — تخالف أهل السنة في المعتقد^(١) .

ثم قلت : ولعلك تحضر أيضاً : كتاب : المغرب الكبير ، العصر العباسي للدكتور : السيد عبدالعزيز سالم ، إن كان موجوداً في هذه المكتبة .

قال : نعم موجود . . ثم أحضره .

فقرأنا سوياً بعد احضاره ، في الجزء الثاني عن الدولة الرستمية ، في مدينة تاهرت بالمغرب : أن عبدالرحمن ابن رستم ، وهو من أصل فارسي ، عندما أحسّ بدنو أجله في عام ١٧١ هـ ، أوصى لسبعة من خيرة رجال الدولة الرستمية ، ومن بينهم ابنه عبدالوهاب ، ويزيد بن فنديك . . وقد بويع عبدالوهاب ، مما ترتب عليه نشوء خلاف بينه وبين ابن فنديك .

وقد انقسمت الإباضيّة التي هي ديانة ابن رستم ومن معه ، حيث نقلها من المشرق إلى المغرب إلى فرقتين : الوهابية نسبة إلى عبدالوهاب بن عبدالرحمن بن رستم ، والنكارية ، ودارت بين الطرفين معارك ومقاتل ، تنهزم فيها النكارية ، إلى أن قتل زعيمها : ابن قنديرة وفي حالة ضعف من النكاريّة ، انضم إليهم الواصليّة المعتزلة .

(١) انظر هذا الكتاب الجزء الثاني من ص ٤٠ ، ٥٠ . وفي مواطن أخرى .

ثم قال: وقد عزم عبدالوهاب هذا على الحج في آخر حياته، إلا أن أتباعه نصحوه بالبقاء في «نفوسة» خوفاً عليه من العباسيين^(١).

ثم قلت: ولورجعنا إلى كتاب الفردبيل، عن الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي، من الفتح الإسلامي حتى اليوم. . لوجدناه في موضع آخر يقول: الخوارج الوهبيين الذين سموا نسبة إلى عبدالله بن وهب الراسبي، الذي قاتله عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في النهروان هم: خوارج أباضية، وعن انقسامهم قال: بأن أباضية المغرب، في تاهرت منهم، وهم الذين كانت دولتهم الرستمية في شمال أفريقيا، وكانوا أشدّ الفرق تعصباً. واتباع عبدالوهاب بن رستم، الذي سميت فرقته بالوهابية نسبة إليه، لما أحدثه في المذهب من تغييرات ومعتقدات.

وقد تحدث في هذا الأمر قرابة أثني عشرة صفحة، وأخبر أنهم يكرهون أهل السنة^(٢).

ثم قلت: من هذا الرصد وغيره في كتب العقائد والسّير، في تاريخ شمال أفريقيا، يبرز أمام طالب الحقيقة، ماحرص عليه الكاتبون من تفنيد لمعتقدات خوارج الأباضية الرستميين، الذين منهم الوهابيون - نسبة إلى عبدالوهاب بن عبدالرحمن بن رستم -، منذ خرجت هذه الفرقة في القرن الثاني الهجري، حيث أكدت ذلك جميع المصادر.

والشيخ محمد بن عبدالوهاب، الذي قام بدعوته للقضاء على الشوائب التي أدخلت على الإسلام في صفائه ونقاوته، رغبة منه في تصحيح العقائد، وتنقيتها من مداخل الشرك والبدع، مثلما سار من قبله دعاة منهم أحمد بن

(١) انظر هذا الكتاب ج ٢ ص ٥٥١ - ٥٥٧ طباعة دار النهضة العربية بيروت، وفيه معلومات

أشمل عن عبدالوهاب هذا ودولته، وذكر أن وفاته كانت عام ٢١١ هـ.

(٢) يراجع الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي ص ١٥٠.

حنبل، وشيخ الإسلام ابن تيمية في الشام، والعز بن عبد السلام في مصر، وغيرهم. . . كلهم وغيرهم من أئمة الإصلاح والتجديد، يخالفون ملل الخوارج، وما يدعون إليه من معتقدات واعتزال، وبدع، تخالف ما درج عليه أهل السنة والجماعة، وهذا مرصود في كتب: الملل والأهواء والنحل .

فحصل بحمد الله الاقتناع، خاصة بعد أن تردد اسم الوهابية في مصادرهم التاريخية والعقدية، مراراً مع إيضاح نماذج مما يدعون إليه . لكنني أحببت ترسيخ هذا المفهوم عندهم، بما لا يدع مجالاً للشك، ولكي يستفيد منه من يطلع عليه عند تدوينه، وفقاً لكلام البلاغيين: زيادة المبنى، زيادة في تمكين المعنى .

فقلت: ما رأيكم إذا اتسعنا مع المصادر، وبرز أماننا من الحقائق التاريخية زيادة عما ذكر، ما يدل على أن علماء بلادكم وحكامها قد اهتموا بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، عندما حرص آل سعود على نشرها، وتبليغها لحكام المسلمين بالمكاتبات، وبعث المندوبين اقتداءً بأسلافنا في أداء الأمانة، وتبليغ ما قاموا من أجله، أخذاً من قول الله سبحانه: ﴿وَلَا تَنْفِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا دَعَاكَ إِلَيْهِ فَاتَّخِذْ لِنَفْسِكَ أَكْثَبَ الْمِثْلِ﴾ (١)، حيث قام حكام المغرب الأقصى وعلماءه بالتقصي والمحاورة، ثم اقتنعوا بسلامة هذه الدعوة .

قالوا: نعم. . . نريد المزيد، بالشيء المفيد، المقنع والموثق. . .

قلت: سوف يكون ذلك إن شاء الله .

ثم قلت: لعلكم تعلمون أن الإمام سعود بن عبدالعزيز — وهو الإمام الثالث من الدولة السعودية الأولى — قد بعث بعد ما دخل مكة في عام ١٢١٩هـ، رسائل للملوك شمال أفريقيا: تونس والمغرب الأقصى وغيرهم،

(١) سورة الزخرف آية ٤٤

يشرح فيها حقيقة التوحيد وأصول الدين الذي جاء به الرسول محمد ﷺ، صافياً نقياً من الأمور التي أدخلت عليه، وبلغه للناس بصدق وأمانه، عليه من ربه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وهي رسالة من ثلاث صفحات، حسبما نشرتها مجلة المانية اسمها إسلاميكا « islamiga »، مع دراسة باللغة الألمانية، لما تعنيه الدعوة التي قاموا بها، من أحد المستشرقين^(١).

وكانت هذه الرسالة توضح بمحتواها ونصّها العربي؛ مقام به الإمام سعود ووالده من قبل، من عمل وفق أمر الله وأمر رسوله ﷺ بالدعوة إلى دين الله على نور من الله، ليزيل ما قد يكون علق بالأذهان من أكاذيب قيلت عن الدعوة، ونفاها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، قبل وفاته [١١١٥ - ١٢٠٦هـ]، وفي ردوده بقوله: سبحانه هذا بهتان عظيم، وقبلنا كُذِبَ على صفوة الخلق عليه الصلاة والسلام كما في رسالته رحمه الله لعبد الله بن سحيم وهو من المعارضين له، وفي رسالته إلى عالم بغداد الشيخ عبد الرحمن السويدي رحمه الله تعالى: بعد أن بين لهذا الأخير عقيدته، وما يدعوا الناس إليه من اخلاص العبادة لله تعالى، وإنكار ما فشا في الناس من أمر الشرك، من دعاء الأموات، والالتجاء إليهم من دون الله تعالى قال: فقام بسبب هذه الدعوة من عارضنا في ذلك، وافترى علينا الكذب - إلى أن قال:- فإني ألزمت من تحت يدي بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وغير ذلك من فرائض الله، ونهيتهم عن الربا وشرب الخمر وأنواع المنكرات، فلم يَمَكَّنَ الرؤساء القدح في هذا وعيبه، لكونه مستحسناً عند العوام، فجعلوا قدحهم وعداوتهم فيما أمر به من التوحيد، وأنهى عنه من الشرك، ولَبَسُوا على العوام: أن هذا خلاف ما عليه أكثر الناس، وكبرت الفتنة جداً، وأجلبوا علينا بخيل الشيطان ورجله، منها: اشاعة البهتان بما يستحي العاقل أن

(١) تراجع هذه المجلة المجلد ٧ عام ١٩٣٥ م .

يحكيه ، فضلاً عن أن يفتريه ، ومنها ما ذكرتم : أتى الكفر جميع الناس إلا من اتبعني ، وأزعم أن أنكحتهم غير صحيحة ، وياعجبا كيف يدخل هذا في عقل عاقل ؟ هل يقول هذا مسلم أو كافر أو عارف أو مجنون ؟!! . وبعد أن عدد أموراً كثيرة مما نسبت إليه قال : والحاصل : أن ما ذكر عنا من الأسباب غير دعوة الناس إلى التوحيد والنهي عن الشرك ، فكله من البهتان ، وهذا لو خفي على غيركم ما خفي عليكم^(١) .

ثم قلت : ومن رغبة الحكام والعلماء في المغرب ، التّقصي ، نرى الحقيقة التالية :-

١- تأثر بهذه الدعوة واهتمّ بها وبمحتواها بعد الدراسة والتّعمق ، سلطان المغرب الأقصى : سيدي محمد بن عبدالله العلوي جدّ الأسرة الحاكمة الآن :-

حيث قام بمحاربة البدع في بلاده ، كما حارب تشعب الطرق الصوفية ، ودعا إلى الإجتهد ، وإلى انتشار السنة ، لأنه ذلك الوقت من أقوى الحكام المسلمين ، ولأن بلاده قد اكتوت بنيران : الباطنية العبيدية ، وأصحاب البدع مع تفشى الجهل ، والوهابية الرستمية الخارجية الباطنية ، علاوة على الغزو الصليبي للشمال الأفريقي ، بعد سقوط الأندلس في أيدي الأفرنج .

وقد ذكر محمد جُمعهُ في كتابه : انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، أموراً من أعمال سيدي محمد بن عبدالله العلوي ، فيما يتفق

(١) انظر هذه الرسالة ورسالته رحمه الله إلى عبدالله بن سحيم ورسالة ابنه عبدالله في تكذيبهم لما نسب إليهم كتاب : البيان والإشهار للشيخ فوزان السابق رحمه الله ط الأولى عام ١٣٧٢ هـ ص ٨٢ - ٨٤ . ورسائل الشيخ طباعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بمناسبة اسبوع الشيخ محمد ابن عبد الوهاب مجلد الرسائل الجزء الخامس .

مع دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وحرصهما على تنقية التوحيد من البدع والشرك مع الله^(١).

هذا السلطان هو الذي وصفه المؤرخ الفرنسيّ: شارلي جوليان، في كتابه: تاريخ أفريقيا الشمالية الذي ترجمه إلى اللغة العربية: محمد مزالي والبشير بن سلامة الذي مرّ بنا ذكره قبل قليل .

فقرأنا في الجزء الثاني قوله: وكان سيدي محمد، وهو التقي الورع، علم بواسطة الحجيج، بانتشار الحركة الوهابية في الجزيرة العربية، وتأيد آل سعود لها، وقد أعجب بعباراتها، وكان يؤثر عنه قوله: «أنا مالكي المذهب، وهابيّ العقيدة»، وقد ذهبت به حماسته، الدينيّة، إلى الإذن بإتلاف الكتب المتساهلة في الدين، والمحللة لمذهب الأشعرية، وتهديم بعض الزوايا^(٢).

٢- أما مؤرخ المغرب الأقصى: أحمد الناصري، فإنه توسّع في الجزء الثامن من كتابه التاريخيّ: الاستقصاء في تاريخ المغرب الأقصى — ولا بد أن يكون موجوداً ضمن محتويات هذه المكتبة — . فقال: نعم .

فلما أحضره فتحنا على أحداث عام ١٢٢٦هـ، فإذا هو يقول: في هذا العام حجّ جماعة من المغاربة، صحبه المولى إبراهيم بن السلطان المولى سليمان، سلطان المغرب، الذي خلف والده السلطان: سيدي محمد بن عبد الله العلويّ، فقال ابنه المولى إبراهيم ومن معه: مارأينا من ابن سعود ما يخالف ماعرفناه من ظاهر الشريعة، وإنما شاهدنا منه، ومن أتباعه مابه الإستقامة والقيام بشعائر الإسلام، من صلاة وطهارة، وصيام ونهي عن المنكر، وتنقية الحرمين من الآثام^(٣) ثم قلت لهم: هل من شهد له وأتباعه

(١) يراجع هذا الكتاب طباعة دار الملك عبدالعزيز بالرياض .

(٢) تاريخ أفريقيا الشمالية المنوه عنه ٢ : ٣١١ .

(٣) الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى للناصرى ٨ : ١٢٠ .

المولى إبراهيم بن السلطان سليمان ، ومن معه من علماء ، بعد المناقشة في مكة أثناء الحج عام ١٢٢٦هـ ، حيث قال الناصري عن الطريقة المتبعة في الركب النبوي الذي جرت العادة بخروجه من فاس ، على هيئة بديعة من الاحتفال ، وكانت الملوك تعتني به ، وتختار له أصناف الناس من العلماء والأعيان والتجار والقاضي وشيخ الركب ، وغير ذلك مما يضاهي ركب مصر والشام^(١) .

هذا الركب بعلمائه ووجهائه بعد مناقشته مع الإمام سعود والعلماء ، هل يتفق مع عبدالوهاب بن رستم الخارجي الأباضي ، صاحب الوهابية الأساسية التي جاءت عنها الفتاوى ، أم أنها فرية من أعداء دين الإسلام ، وصدّقها بعض المسلمين دون تمحيص ولا روية ، ولا رجوع للكتب التاريخية والعقدية الموثقة ؟ ! .

قالوا جميعاً: نحن معك وأقتنعنا . . لكن كيف غاب على كثير من الباحثين ، مارصد في مصادرنا ممّالا يقبل الشك . .

قلت : ولكي أزيدكم ، ويستفيد منه من يطلع عليه من بعدنا ، فإن الناصري في تاريخه هذا ، قد غطى حيزاً كبيراً من أخبار هذه الدعوة ، بأكثر من عشر صفحات ، وسوف أزيدكم من قوله ، وهو من المؤرخين الموثوقين عندكم ، وتاريخه من مصادر بلادكم المهمة . قالوا : نعم . قلت : يقول الناصري عن السلطان سليمان بن محمد بن عبدالله العلوي ، الذي بويع في فاس في حدود عام ١٢٢٦هـ ، وقد كان معاصراً للإمام عبدالله بن سعود ، ووالده الإمام العالم سعود بن عبدالعزيز ، الذي دخل مكة المكرمة في المرة الأولى حاجاً عام ١٢١٤هـ ، الموافق لعام ١٧٩٩م ، بأنه أراد أن يتحقق من

(١) المصدر السابق ص ١٢١ .

ابن سعود وما يدعو إليه ، فأرسل ابنه المولى إبراهيم في جماعة من علماء المغرب وأعيانه ، ومعه جواب من والده فوصلوا إلى الحجاز ، وقضوا المناسك ، وزاروا الروضة الشريفة ، كل هذا على الأمن والأمان ، والبر والإحسان ، ثم أردف الناصري قائلاً : حدثنا جماعة وافرة ممن حج مع المولى إبراهيم في تلك السنة ، أنهم مارأوا من ذلك السلطان — يعني الإمام سعود — ما يخالف ما عرفوه من ظاهر الشريعة ، وإنما شاهدوا منه ، ومن أتباعه غاية الاستقامة ، والقيام بشعائر الإسلام من صلاة وطهارة ، وصيام ونهي عن المنكر الحرام ، وتقية الحرمين الشريفين من القاذورات والآثام ، التي كانت بهما من غير نكير ، وأنه لما اجتمع بالشريف المولى إبراهيم ، أظهر له التعظيم الواجب لآل البيت الكريم ، وجلس معه كجلوس أحد أصحابه وحاشيته ، وكان الذي تولى الكلام معه الفقيه القاضي : أبو اسحاق إبراهيم الزرعي ، فكان من جملة ما قاله ابن سعود لهم : إن الناس يزعمون أننا مخالفون للسنة المحمدية ، فأی شيء رأيتُمونا خالفناه من السنة ، وأي شيء سمعتموه عنا قبل اجتماعكم بنا؟؟ .

فقال له القاضي : بلغنا أنكم تقولون بالاستواء الذاتي ، المستلزم لجسمية المستوى فقال له : معاذ الله ، إنما نقول كما قال الإمام مالك رحمه الله : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة ، والإيمان به واجب . . فهل في هذا مخالفة؟! . قالوا : لا . . وبمثل هذا نقول أيضاً ، ثم قال القاضي الزرعي له : وبلغنا أنكم تقولون : بعدم حياة النبي ﷺ ، وحياة إخوانه من الأنبياء ، عليهم الصلاة والسلام في قبورهم . . فلما سمع ذكر النبي ﷺ ، ارتعد ورفع صوته بالصلاة عليه وقال : معاذ الله ، إنما نقول : إنه ﷺ حي في قبره ، وكذا غيره من الأنبياء ، حياة فوق حياة الشهداء .

٣- ثم في نهاية هذا الحديث قال الناصري : وأقول إن السلطان المولى سليمان رحمه الله ، كان يرى شيئاً من ذلك ، ولأجله كتب رسالته المشهورة ، التي تكلم فيها عن حال متفكرة الوقت — ويعني بهم رهبنة الصوفية — وحذر

فيها رضي الله عنه، من الخروج عن السنة، والتغالي في البدعة، وبين فيها آداب زيارة الأولياء، وحذر من غلو العوام في ذلك، وأغلظ فيها مبالغة في النصح للمسلمين، جزاه الله خيراً .

كما قال: إن المولى سليمان قد حدّد خطبة تحث على التوحيد، ومحاربة البدع، وأمر بتوزيعها على مساجد الجمعة، كما أمر بإغلاق زوايا الصوفية. (١) .

وبعد الحوار الذي دار في أمور كثيرة ممانسب لهم، قال الناصري: ثم قال، صاحب الجيش: هذا ما حدث به أولئك المذكورون، سمعنا ذلك من بعضهم جماعة، ثم سألنا الباقي أفراداً فاتفق خبرهم على ذلك (٢) .

ثم قلت: هذه بعض الحقائق المقرونة بالحوار والرصد، وكما وعدتكم بعدم الخروج عما هو في محيط منطقتكم، حيث نشأت الوهابية الحقيقية، وحيث لبس عليكم وعلى كثير من المسلمين، أمر وحقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، التي قام بنشرها آل سعود .

والآ فإن الشيخ محمد، كما يتّضح من رسائله وردوده التي طبعتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كما مرّ بنا نماذج منها، فيها نفي وتفنيد، لما الصق بدعوته من تهم وأكاذيب، لم يقلها، بل قد نفاها وكرر مراراً القول: هذا بهتان عظيم. (٣) .

(١) الإِسْتِقْصَاء ج ٨ ص ١٢١ - ١٢٢ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) يراجع في هذا الجزء الخامس من مجموع الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي نشرته جامعة الإمام وهو خاص بالرسائل والردود .

فكيف يصدّق العاقل، ما قيل من أمور هو في حياته سمعها ونفاها، كما نفاها تلاميذه من بعده. وهذا كتابه: كتاب التوحيد، وشرحه فتح المجيد، وتيسير العزيز الحميد، أقرأوها بتمعن، وتدقيق، فإن رأيتم فيها شيئاً يخالف ماجاء عن رسول الله ﷺ، فلكم الحق في التشكيك، ومثل ذلك رسائله: ثلاثة الأصول، وكشف الشبهات، والقواعد الأربع، وآداب المشي إلى الصلاة وغيرها.

٤- أما الدكتور عباس الجراري، وهو من هنا من المغرب، - ولست أدري هل اطلعتم على محاضراته في عام ١٣٩٩هـ، بجامعة الرياض - جامعة الملك سعود حالياً - التي قال فيها: إن التيار السلفي في المغرب، قد ظهر مرة أخرى في بداية القرن الرابع عشر الهجري، حيث وجّه السلطان الحسن عام ١٣٠٠هـ، رسالة إلى الشعب المغربي، وقد نوّه عن هذا الناصري أيضاً، كما حصل مثل ذلك عام ١١٨٥هـ، عندما أرسل الإمام عبدالعزيز بن محمد، الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الحصين، إلى والي مكة آنذاك لمناظرة علماء مكة، فكان من علماء مكة المشايخ: يحيى بن صالح الحنفي، وعبد الوهاب بن حسن التركي مفتي السلطان، وعبد العزيز بن هلال، فتفاوضوا في ثلاث مسائل، وقت المناظرة ظهرت منها لهم الحقائق المقنعة بسلامة هذه الدعوة.

ثم قلت: إن علماء مكة ذلك الوقت عندهم شبهة كما هي لدى علماء المغرب وغيرهم، حسبما يتردد من إشاعات، وما يصلهم من أكاذيب وافتراءات ينشرها المغرضون.

وبعد ما دخل الإمام سعود بن عبدالعزيز مكة ثانية، جرت مناظرات، وإجابات على تساؤلاتهم، وكان من علماء نجد: الشيخ عبدالعزيز الحصين، والشيخ حمد بن ناصر بن معمر، الذي عينه الإمام سعود قاضياً

ومفتياً بمكة حتى توفي بمكة بعد ذلك . فحصلت القناعة من علماء مكة ،
وصدر بهذا وثيقة وقّعها الجميع بنفى الشبهات ، والأكاذيب حول الدعوة ،
وطبعت عدة مرات .

ثم في عهد الملك عبدالعزيز ، بعد ما دخل مكة عام ١٣٤٣ هـ ، حصل
مثل ذلك . . مما أوجد قناعة بسلامة منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه
الله .

وأزيدكم علماً بأن القباب المبنية على القبور في مكة ، هدمت أيام
الشريف عون الرفيق ، ماعدا قبر السيدة خديجة ، في الفترة ما بين الدولة
السعودية الثانية ، وقيام الملك عبدالعزيز لإعادة الدولة السعودية في دورها
الثالث ، كان ذلك الهدم بمشورة الشيخ أحمد بن عيسى ، وتأييد من
الشريف وبعض علماء مكة ، مما يدل على القناعة . (١) .

ثم قلت : أيها الإخوة ، مما دار من نقاش ، ومما وجدنا من نصوص ، نرى
أن الوهابية لعيوبها ، نسبتها إلى دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية ،
خطأ محض ، وأن الوهابية التي صدرت عنها الفتاوى في كتبكم ، لا علاقة لها
بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ولا تقارب بينهما ، لأن الخططين المتوازيين
لا يلتقيان .

ذلك أن الشيخ محمد وتلاميذه يمقتون الوهابية الرسمية ، كما مقتها
علمائكم من قبل . . لأن دعوة الشيخ محمد سلفية ، ولا يوجد فيها ما يخالف
كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ .

كما برز أمامنا : أن علماء المغرب برّأوا علماء الدعوة وحكام آل سعود ،

(١) تراجع ترجمة الشيخ أحمد العيسى في كتاب ابن بسام علماء نجد خلال ستة قرون الجزء الأول .

الذين ناصروها إحياءاً لدين الله ، وتجديداً لما اندثر من سنة رسول الله ﷺ ، وإماتة للبدعة عندما تناظروا معهم في حج عام ١٢٢٦هـ ، وظهر لهم كذب مانسب للشيخ والدعاة لدين الله . وعلى هذا بان لنا أن أربعة من سلاطين المغرب الأقصى ، اهتموا بهذه الدعوة ، وتبنوا نشرها في بلادهم ، وهم :-

١- المولى السلطان : سيدى محمد بن عبدالله العلويّ ، الذي كان معاصراً للإمام عبدالعزيز بن محمد ، وتبلغ رسالة الإمام سعود .

٢- المولى السلطان : سليمان بن محمد بن عبدالله العلويّ ، الذي أوفد العلماء مع ابنه المولى إبراهيم ، وتناقش مع الإمام سعود بن عبدالعزيز ، وعلماءه مع علماء الدعوة .

٣- المولى السلطان : إبراهيم بن سليمان بن محمد بن عبدالله العلويّ ، الذي تسلم زمام الأمر بعد أبيه السلطان سليمان .

٤- المولى السلطان : الحسن الأول في عام ١٣٠٠هـ ، ووقته فترة بين الدولة السعودية الثانية ، والدور الثالث لهذه الدولة ، الذي قام به الملك عبدالعزيز من خمسة شوال عام ١٣١٩هـ .

كما أن الدكتور محمد تقي الدين الهلالي - رحمه الله - اهتم بهذه الدعوة ، وهو حسنيّ من العائلة المغربية الحاكمة ، وقد كان تيجانياً ، ثم لما عرف حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - حرص على نشرها ، في كل مكان ذهب إليه ، حتى أستقر آخر عمره في المغرب بفاس ، ثم تحول إلى الدار البيضاء ، حتى توفي رحمه الله ، وقد ألفت رسالة عن التيجانية وبطلانها ، ومثله الشيخ عبدالرحمن الأفريقي الذي كان سنغالياً تيجانياً فتركها وألف في ذمّ ما هم عليه .

كما جرت كتابات عديدة عن محاكمة السلفية في المغرب، وعن انتشارها، وتأثر قادتها بعلماء الحجاز ونجد، من ذلك التاريخ حتى اليوم، وقد ردّ الأستاذ أحمد العماري الذي حقّق رسالة الوترى وقال: إن تحامله على السلفية تزمّت شديد للطريقة على حساب السلفية والمحقق مغربيّ .

ثم قلت: أرجو أن يكون في ذلك مقنع وكفاية، وإن أردتم زيادة توضيحية أكثر سواء بنقل آراء العلماء من العالم الإسلامي، أو بوجهات نظر وتحليل المستشرقين من بلاد الغرب، الذين راقبوا الأحداث، وتتبعوا مسيرة الدعوة، فلا مانع . . لكن ذلك يحتاج إلى مصادر قد لا تتوفر هنا .

لذلك اقتصرت على علماء المغرب وحكامهم، لأن طارحي الشبهة الآن مغاربة، حيث يسهل الرجوع للمصادر من هذه المكتبة، وذلك أقرب إلى القناعة، أخذاً من قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: خاطبوا الناس بما يعرفون، حتى لا يكذب الله ورسوله .

وقال صاحبنا: كل ما ذكرت مقنع وواقعيّ، وأزال بحمد الله الشبهات التي كانت تثار، فما رأي الإخوة؟ . قالوا: هذا صحيح . . ثم أردف قائلاً: لكن كيف أنّ هذه الإجابات المقنعة، بين أيدينا، وسهلة التناول، وغاب عنا استجلاؤها .

قلت له: هذا جوابه عندكم . . وطالب العلم مسؤوليته أمام الله عظيمة، فليس هو كالجاهل، الذي يلقي إليه الأمر ويصدّق، إذ يجب أن لا يحكم طالب العلم على أمر إلا بعد البحث والاستقصاء، فالعاميّ، ونصف المتعلّم، إن وجد له عذر، إلا أن طالب العلم، والأستاذ الجامعيّ لا يعذران لأن كلاّ منهما قدوة لغيره، ولأن طلابه يأخذون عنه، وينتظرون توجيهه، وإزالة الشبهات من أمامهم .

قال: هل من الممكن أن تكتب بهذا الخصوص في صحيفة النور التي تصدر في تطوان بالمغرب مقالاً، قلت: نعم. . ثم بعد أن عدت إلى المملكة بعثت لهم مقالاً موثقاً بمصادره. .

وبعد أن نشر هذا المقال جاءني رسائل إيجابية وسلبية، عن صدى مانشر عن الوهابية. . . فالذين تحدثت معهم، رغبوا في زيادة المقالة، حتى تصبح رسالة تضم معلومات أوسع، ليتمكن طبعها هناك.

وقد استجبت، وتم ذلك - بحمد الله - وحرصت على عدم الإطالة. . مع الإشارة للمصادر حتى يسهل على راغب الزيادة، والحريص على توسيع المدارك، معرفة الكتب المعينة له في اشباع رغبته.

وقد طبعت هذه الرسالة للمرة الأولى في كتيب في تطوان بالمغرب، في حدود عام ١٤٠٧هـ، كما طبعت ثانية بعد ذلك بعدة سنوات في الرياض عام ١٤١٣هـ، وقد حقق الله بها فائدة ونفعاً.

وماذلك إلا أن أعداء الإسلام، والراغبين في فرقة المسلمين، وأصحاب المآرب الخاصة؛ أعاذ الله المسلمين من شرهم، قد وجدوا في الوهابية الرستمية ثوباً جاهزاً، البسوه عاجلاً هذه الدعوة السلفية الصحيحة في مقصدها، ودعوتها، خوفاً من تجمع المسلمين ضدّهم، حيث يريدونهم مثل الجياع الذين يلاحقون من يطعمهم: كالأيتام على مائدة اللثام.

هذا من جانب، وللتفريب والعداوات بين أبناء المسلمين من جانب آخر، وليحققوا مآربهم بتوسيع دائرة الخلافات، ولأثارة الشبهات في المجتمع الإسلامي.

وقد كان من المصالح التي تحققت - بحمد الله - من هذه الرسالة بعد طبعها للمرة الثانية، أن أكثر من شخص من المرموقين، أخبرت عنهم، بأنه

قد مرت بهم مواقف في الجمهوريات الإسلامية المنفصلة، عن الإتحاد السوفييتي، بعد انحلال الشيوعية، لأن فتوى أنتشرت هناك، مستغلّ مروجها حماسة السكان اسلامياً، وقصورهم في فهم العقيدة الصحيحة، والمعارف الإسلامية، تقول هذه الفتوى: إن قتل وهابيٍّ واحد، أفضل من قتل مائة يهودي. حتى صار السلفي لا يسير منفرداً.

فاجتمع بعضهم، ببعض العلماء وأئمة المساجد هناك. ووضحوا لهم عن الوهابية الرستميّة، وعن حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وفق ما جاء في هذه الرسالة، فكان من ذلك جلاء للغشاوة وإزالة للشبهة بتصحيح المفهوم، وقد ترجمت للغات المحليّة هناك فنفع الله بها.

والذي يجب أن يدركه كل مسلم مخلص، أن الأعداء لا يكلّون ولا يملّون من ترديد شبهاتهم، ولكن المعرفة والتعليم، وردّ الأمور في دين الله إلى أصولها من كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ، الذين هما وصية رسول الله ﷺ، وأنهم إذا تمسكوا بهما لن يضلوا^(١) وهما السلاح لمن يريد أن يجابه مكائد الخصوم وسمومهم.

كما أن الدارسين لهذه الدعوة، خرجوا بنتيجة:-

١- أنها ليست حزباً له تنظيماته. وإنما هي تجديد لدين الله، على خطى رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام وسلف هذه الأمة الأخيار.

٢- أنها ليست مذهباً يخالف به معتنقوه المذاهب الفقهية المعروفة.

٣- أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، سلفي العقيدة، شأنه شأن كل من يدعو إلى منهج السلف الصالح، في كل عصر ومصر، يدعو إلى توحيد الله، وإخلاص العبادة له سبحانه.

(١) يراجع في هذا خطبة رسول الله ﷺ في حجة الوداع.

٤- أما مذهبه في الفروع ، فهو على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، مثلما أن هناك أحنافاً سلفيون ، وشوافع سلفيون ، ومالكية سلفيون . .

وقد بان لنا من هذا الحوار أن أحد سلاطين المغرب ، وهو المولى السلطان : سيدي محمد بن عبدالله العلوي قال عن نفسه : «أنا وهابيّ العقيدة ، مالكي المذهب»^(١) ، وهو لا يقصد الوهابية الرستمية ، وإنما يردّ بذلك على من وصم دعوة التوحيد الخالص لله ، بهذا النعت .

ومثله قال : عمران بن رضوان ، وهو من علماء بلدة لنجة بإيران في الجهة الشرقية من الخليج : أنا وهابي لما بلغته دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وهو حنفي المذهب ، وقيل شافعي ، وقد مدحها بقصيدة منها هذا البيت :-

إن كان تابع أحمد متوهّباً فأنا المقرّ بأنني وهابيّ
والأمير الشيخ الصنعاني : محمد بن اسماعيل ، وهو من اليمن وجيهاً وعالمًا ، ومع أن مذهبه الفقهي زيديّ فإنه درس هذه الدعوة وأحبّها ، ومدحها ومدح الشيخ بقصيده بدأها بقوله :-

سلام على نجد ومن حلّ في نجد وإن كان تسليمي على البعد لا يجدي
ومثله الإمام الشوكاني من اليمن أيضاً .^(٢) .

والشيخ الدكتور محمد تقي الدين الهلالي رحمه الله الذي مرّ بنا ذكره ، وهو من علماء المغرب ، وحسنيّ ينتمي للعائلة المالكية يقول عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ضمن قصيدة :-

(١) انظر تاريخ أفريقيا الشمالية لشارلي جوليان ترجمة محمد مزالي والبشير بن سلامة ٢ : ٣١١ .
(٢) يراجع في هذا مذكره الشيخ ابن سحان في الدرر السنية ، وبها القصائد . وكتاب الدكتور عبدالله أبو داهش وهو من أدب الدعوة في جنوب الجزيرة - رسالة دكتوراه .

نسبوا إلى الوهاب خير عبادة فياحبذا نسبى إلى الوهابيّ
وقد استعنت بالله في إخراج هذه الرسالة المختصرة: «تصحيح خطأ
تاريخي حول الوهابية» حتى تسهل القراءة، لأن المطولات في هذا العصر قد
لا تقرأ إلا من ذوي الاختصاص، وأرجو أن تتحقق منها الفائدة في إزالة
اللبس، وتنقشع الغشاوة التي أراد بها أعداء الإسلام، والراغبون في
الإضرار بالمسلمين، بلبلة الأفكار، وبثّ الفرقة. . لعل الله أن يصحح
المفاهيم، وينير الأذهان وآله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس
لا يعلمون .

د . محمد بن سعد الشويعر

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وبعد :

فلقد كان بحمد الله لمقالي الذي نشرته منذ أربعة أعوام حول تصحيح مفهوم تاريخي أثر طيب، عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأنه لا علاقة للوهابية الرستمية بالدعوة السلفية التي جدها الشيخ محمد رحمه الله .

وقد كانت مبادرة من استاذ كريم بإحدى جامعات المغرب الشقيق طالباً المزيد من التفصيل لذلك الموضوع .

وهذه الرسالة الموجزة ماهي إلا استجابة لمطلبه، وتوضيحاً لمكانة قادة وعلماء المغرب من الرغبة الأكيدة بالدفاع عن هذا الدين، وتحري الأصوب فيما يتجهون إليه .

وقد حاولت أن تكون وجهة النظر التي أطرح في هذا البحث مستندة على مصدر معتمد في نقل الأحداث . وقد حققت الطبعة الأولى من هذا الكتاب تجاوباً حسناً، ورغبة في استجلاء الحقيقة التي حرصت على تجليتها خدمة للعلم، وأداء للأمانة، وتأليفاً للقلوب في مسيرة الإسلام الخيرة التي رسم معالمها سيدنا محمد بن عبدالله ﷺ قبل أربعة عشر قرناً وتوفي بعد ان ترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك . كما قال ﷺ وهأنذا أقدم للقاريء الكريم الطبعة الثانية من هذا الكتاب مزادة ومنقحة جعل الله الحق رائدنا، والحقيقة منطلقنا، والألفة تجمعنا، واللجنة مستقرنا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

محمد الشويعر

الرياض في ١٥ / ٥ / ١٤٠٩ هـ

تمهيد :-

إذ كان المثل يقول: الناس أعداء ما جهلوا. . فإن بعض الناس أيضاً أعداء ما خالف شهواتهم وتعارض مع مصالحهم الشخصية .

والحكم الفصل فيما يجب أن ينطلق منه الفرد في رأيه وحكمه، هو عرض الأمور على مصدر التشريع السماوي الذي لا يأتيه الباطل، ولا يتطرق إليه الشك .

والمسلمون في كل مكان مأمورون قبل انطلاقتهم نحو وجهة نظر معينة في أمور العقيدة، وكل ماله صلة بالدين، وقبل القدح أو المدح أن يرجعوا لمصدري التشريع في دينهم وهما:

كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ .

فمن أتى بشيء يخالفهما نبذ، ومن سار وفقهما قولاً وعملاً أيد ونصر . هذا حكم فيما يجب أن يكون عليه الفرد المسلم، وهو الوعي والإدراك، والتحليل والتأكيد، بحيث لا يكون إمعة ينقل صدى الآخرين، ويستغله أعداء دين الإسلام، وهو لا يدري .

وقصة بني المصطلق التي نزل بشأنها قرآن يتلى حيث يقول جل وعلا:

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِجْهَلَةٍ

فُتِّبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾^(١) فيها درس عملي للفئة المؤمنة التي تحرص على دينها، وعلاقاتها بإخوانها المؤمنين، بأن تتوثق من كل إشاعة ترمي إلى خلخلة الصف، وبذر الشحناء، وإتاحة الفرصة للفرقة .

(١) سورة الحجرات آية ٦ .

فما أكثر الأعداء الذين يحاولون الغرر بالمسلمين، وإيجاد مبررات التخاذل، لمباعدتهم عن حقيقة الاسلام وصفائه، وإدخال أشياء على المسلمين في دينهم هي من جذور طقوس الديانة اليهودية والنصرانية، التي أفسدت حقيقة تلك الديانات السماوية من قبل، بما دخلها من تبديل، في محاولة دؤوبة لبثها في صفوف المسلمين عن طريق بعض عبادهم وعلمائهم .

وهدفهم من هذا أن يتساوا معهم في المعصية والمخالفة، ليسهل بذلك النفاذ إلى المجتمع، ثم عن هذا الطريق إدخال أشياء تباعد المسلمين عن الإسلام، ومع الزمن والتساهل تتسع الشقة، ويكثر البعد، فيصبح الإسلام غريباً على أبنائه .

يروى عن سفيان الثوري (٩٧ - ١٦١ هـ) رحمه الله أنه قال: «من فسد من علماء المسلمين ففيه شبه باليهود الذين معهم علم ولم يعملوا به، ومن فسد من عباد المسلمين ففيه شبه بالنصارى، الذين يعبدون الله على جهل وضلال»، نسأل الله السلامة والعافية^(١) .

ومن هنا جاءت نقاوة الإسلام في التشريع، وصفائوه في العقيدة. وسطاً في العمل. ووسطاً في القول، ووسطاً في الاعتقاد، وقمة في العلاقة مع الله، وقد جعل الله أمة الاسلام وسطاً بين الأمم في كل شيء قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾^(٢) .

فأمة الإسلام وسط بين رهبانية النصارى، وغلوهم في عيسى عليه السلام اعتقاداً، وفي عبادتهم بالضلال والجهل، واتباعهم لرجال الكنيسة بدون فهم أو مناقشة .

(١) بعضهم ينسبه لغيث بن عيينه رحمه الله .

(٢) سورة البقرة آية ١٤٣ وراجع أقوال سيد قطب في الظلال على دلالة الوسط .

وبين تحايل اليهود وكذبهم ، وادعائهم على الله جل وعلا ، وأنبيائه عليهم السلام ، بما تصف ألسنتهم ، وتعمدهم الضلال والإضلال ، وإخفائهم للحقائق العلمية والعقدية في الديانة التي جاءتهم من عند الله على السنة الأنبياء والرسل من باب الإفساد والمخالفة .

والتاريخ الإسلامي يشير إلى أن الجهل فشى في المجتمعات الإسلامية في نهاية الخلافة العباسية بعد ما كثرت العجمة ، وقل العلم ، وتأثر الناس بفلسفة الرومان ، وعلوم فارس والهند .

وقبل ذلك وفي أثنائه كان التأثير في أطراف الدولة أكثر ، حيث نشأت فرق كثيرة لها معتقدات متباينة ، ونماذج شتى في الاتجاه والهدف ، وضع بذورها اليهودي عبدالله بن سبأ الذي أسلم مخادعة ، حتى وجد فرصة ملائمة لبث روح الفرقة بين المسلمين في عهد الخليفة الراشد : عثمان بن عفان رضي الله عنه .

ونشأت أول فرقة باسم الفرقة السبائية وهو الذي أسسها .

وقد تحدثت بعض الكتب كالمثل والنحل للشهرستاني ، والفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ، وشيخ الإسلام ابن تيمية في فتاواه وكتبه ، عن تلك الفرق ، ومعتقداتها ، وكيفية نشأتها ، وما تخالف فيه أهل السنة والجماعة .

ويمتاز ابن تيمية رحمه الله بالرد على بعض تلك الفرق ، والتنويه عن معتقدات أصحابها ، وأعمال البعض الآخر .

ومن يتتبع الحركات الفكرية العقدية الإسلامية في العالم الإسلامي ، منذ ذلك التاريخ ، يلمس هذا جيداً ، حيث برز الصراع الفكري في المجتمع على أعقاب تعلق بعض المسلمين بفلسفة اليونان ، وعلوم فارس والهند .

والمجتمع الإسلامي ، لا يعدم وجود أناس يدركون ما تنطوي عليه تلك الأفكار، وما يندس في ثناياها من معتقدات، وافدة على عقيدة الإسلام الصحيحة النقية، فيصححون لمن حولهم ما أدخل في بيئتهم، وما يراود لعقيدتهم لأن جميع الملل والنحل في الأرض تريد أن تضل المسلمين عن دينهم الحق إن استطاعوا. قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْنَلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ (١).

وهذه حكمة أرادها الله في صراع الحق بالباطل، لتسترشد العقول، وتتفهم الأفتدة، فيرجع للصواب من أراد الله به خيراً لأن الحق واضح بالدليل النقلى والعقلي .

وهذا جزء من مهمات الدعوة والتوضيح التي حمل بها بنو إسرائيل . وتخلوا عنها عناداً ومكابرة، فكان لزاماً على علماء المسلمين العارفين، الخائفين من عقاب الله ونقمته، الأنبراء لدعوة الناس إلى المنهج المحمدي في العقيدة والعبادة، وتصحيح المفاهيم العقدية حسبما أمر الله في كتابه . ودعا إليه نبيه الكريم ، ثم ماسار عليه أصحابه ومن تبعهم بإحسان امتثالاً ، وتطبيقاً .

ولا تعدم كل دعوة سليمة وصحيحة في كل زمان ومكان، وجود أعداء وخصوم، إما عن جهل أو لتعصب شخصي، أو لمآرب خاصة، ومصالح ذاتية « فاهوى يعمي ويصم »، فيحرك تلك النوازع، أمثال هؤلاء، ليشهروا السلاح في وجه الإسلام علانية أو بالإستتار، فيلصقوا التهم ضد الدعاة المخلصين، ويستعينوا بالكذب والافتراء، لبلبلة الأفكار، ثم بوضع الألقاب المنفرة لنزع الثقة من هؤلاء الدعاة، حتى يعمى الأمر على الغالبية

(١) سورة البقرة آية ٢١٧ .

العظمى من الناس، وهم العامة الذين لا يقرؤون ولا يبحثون .

ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية التصحيحية التي نبعت من وسط الجزيرة العربية في القرن الثاني عشر، في وقت كان المسلمون — لا في الجزيرة العربية وحدها، بل في كل مكان — أحوج ما يكونون إليها، لإنقاذهم من الجهل الذي ران عليهم، وتصحيح مفاهيمهم في أمور العقيدة والعبادات، التي أشدها الجهل بأمور الدين، والافتداء بعلماء يجهلون أمور دينهم، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق فيما يخشاه على أمته من العلماء المضلين، الذين يفتون بغير ما أنزل الله فيضلون ويضلون في قوله الكريم: «إن الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعاً، ولكن ينتزعه مع قبض العلماء بعلمهم فيبقى ناس جهال فيستفتون فيفتون برأيهم فيضلون ويضلون»^(١) .

فقد جاءت دعوة الشيخ محمد لإزالة ما علق بتعاليم الإسلام من شوائب، وتصحيح ما أدخل على التوحيد وخاصة توحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات، من مشاركة للمخلوق مع الخالق، في صرف ما هو لله جل وعلا، مقروناً بالمخلوق في العمل والاعتقاد، وتعطيل أسماء الله وصفاته جل وعلا أو نفيها والسير خلف تأويلات ما أنزل الله بها من سلطان .

فصار التوحيد بأقسامه الثلاثة: الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات، مشوباً بما يكدره، حيث دخل عليها في المعتقد والعمل ما يصرفها عن حقيقتها، نظراً للتأثر بالمعتقدات البعيدة عن المنهج الذي جاء به

(١) رواه البخاري عن عروة عن عبد الله بن عمرو بن العاص .

المصطفى ﷺ، ثم الاقتداء بأصحابها بعد أن بهرهم القول، وأعجبهم المظاهر والدعوات، لأمثال من قال الله فيهم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ (١).

وما ذلك إلا لأن النفوس خليت من القاعدة المكيئة، وهو العلم والإدراك، بما شرع الله لخلقه، ومعرفة الحكمة من إيجادهم للحياة.

لقد نشأ عن ذلك الضعف العلمي، نقص في الإدراك، وتقليد للأمم الغالبة والمؤثرة، فكثرت الطرق الصوفية التي بدأت برغبة دينية، وحرص على التبتل والمحافظة على الإسلام، فكانت بدايتها طيبة، وهدفها نبيل.

إلا أن الجهل ورغبة التوارث لهذه المكانة الاجتماعية، التي جاءت باسم المنصب الديني، قد جاء برجال لا علم عندهم، ولا قدرة لديهم في فهم رأي الشريعة الإسلامية في كثير من الأمور، وهذا ما كان يخشاه ﷺ على أمته.

ومن ينظر في إزالة الحجب، ورفع التكاليف، وأعمال المريدين والأقطاب عند أكثر الطرق الصوفية ويربط هذا بالغفران لدى النصارى، ومكانة أصحاب الألقاب في الكنيسة، وطقوس الميلاد وصكوك الغفران، يرى أن أحدهما استمد من الآخر، في هذه الجوانب وفي جوانب أخرى.

ولكي يعود للإسلام نقاوته وصفائه من كل شوائب دخيلة عن جهل أو تقليد، سواء من الديانة اليهودية أو النصرانية، أو من جذور الجاهلية، فإنه

(١) سورة البقرة آية ٢٠٤ - ٢٠٥.

لابد من الامثال لأمر الله جل وعلا في مثل قوله سبحانه :

﴿ وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهَدَىٰ وَلَئِنْ أَتَّبَعْتُ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ (١) .

وإن علماء المسلمين العارفين بأمور دينهم، فهماً حقيقياً، لهم الذين عليهم دور التوضيح والإرشاد، والتوجيه والتبيين، حسبما يأمرهم بهذا مصدرا التشريع في الإسلام : كتاب الله وسنة رسوله الأمين ﷺ الصحيحة الثابتة التي خدمنا فيها علماء الحديث المعروفون .

وهذا مايجب أن يعيه كل داعية، ويهتم به كل عالم من علماء المسلمين .

وفي تاريخ الدعاة والمصلحين، صفحات مشرقة نتيجة اهتمامهم وانطلاقهم في دعوة الناس من ذلك النبع الصافي الفياض، والمعين الزاخر الذي لا ينضب .

والشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله واحد من ذلك الجيش الذي انتهج طريقاً، يتفق مع رسالة الصفوة الأولى من التابعين واتباعهم بإحسان للإصلاح والعلم، فقد أدرك مايعيش فيه مجتمعه من صوفية متطرفة، رغم وفرة العلماء، وماسار عليه أبناء جلدته من تعلق بالقبور التي لاتنفع ولاتضر، وتبرك بالأحجار الجامدة، ووضع الكلام في غير محله .

فكان الناس يتعلقون بتلك الجمادات طلباً للنفع، أو دفعاً للضرر، ونسوا أن الله هو النافع الضار القادر على كل شيء، وإن الله لايقبل من العمل إلا ماكان خالصاً لوجهه الكريم .

(١) سورة البقرة آية ١٢٠ .

لقد شق هذا الأمر عليه، لما فيه من جرأة على الخالق بصرف القلب والعمل إلى غيره، مع أنه هو المنعم والمتفضل سبحانه بكل شيء .
ويمكن وصف حالة المجتمع الإسلامي في كل مكان، ذلك الوقت، وليس في نجد وحدها، بما قاله المؤرخ الأمريكي لوثر روب ستودارد بمثل هذه الكلمات :

أما الدين فقد غشيته غاشية سوداء، فألبست الوجدانية التي علمها صاحب الرسالة، سجفاً من الخرافات، وقشور الصوفية، وخلت المساجد من أرباب الصلوات، وكثر عدد الأدعياء الجهلاء، وطوائف الفقراء والمساكين، يخرجون من مكان إلى مكان، يحملون في أعناقهم التعاويذ، ويوهمون الناس بالأباطيل والشبهات، ويرغبونهم في الحج إلى قبور الأولياء، وزينوا للناس التماس الشفاعة من فناء القبور، وغابت عن الناس فضائل القرآن، فلو عاد صاحب الرسالة إلى الأرض في ذلك العصر، ورأى من كان يدعى الإسلام لغضب .

هذه — كما قال الشيخ عبدالله خياط إمام جامع الحرم المكي الشريف — شهادة حق من عدو منصف لم يعرف عنه الدخول في الإسلام، يصف واقع الإسلام والمجتمع الإسلامي في القرن الثاني عشر الهجري، وما وصل إليه من الانحطاط والتدني^(١) .

ويقول الأمير شكيب أرسلان عن هذا المؤرخ: لو أن فيلسوفاً من فلاسفة الإسلام، أراد تشخيص حالة الإسلام في هذه القرون الأخيرة،

(١) ضمن مقال نشر لفضيلته في عكاظ في شهر جمادي الأولى من عام ١٤٠٤ هـ . وانظر كتاب الإمام محمد بن عبد الوهاب للأستاذ عبدالله بن رويشد ج ٢ ص ٢٤٥ - ٢٤٦ نقلاً عن كتاب «حضارة العالم الإسلامي» .

مأمكنه يصيب المحز، ويطبق المفصل، تطبيق هذا الكاتب الأمريكي استودارد .

ونجد والجزيرة العربية، لم تكن تختلف عن ديار الإسلام في ذلك الوقت، فقد تغلب الباطل على الحق في أكثر ديار الإسلام، وكثرت البدع والخرافات . فالعلماء موجودون ولكنهم لا يرشدون الناس للطريق الأقوم، بل أضلوهم وأفسدوا عقائدهم .

وقد ذكر المؤرخان النجديان : حسين بن غنام الأحسائي ثم النجدي المتوفى عام ١٢٢٥ هـ، وعثمان بن بشر المتوفى عام ١٢٩٠ هـ، نماذج مما آلت إليه حالة الناس في العقيدة والعبادة في البلاد الإسلامية والعربية، وفي نجد بصفة خاصة بإعتبارهما يعرفان الأمر عن كثب، وعرفا واقع الناس، وماهم فيه .

فابن غنام الذي عاصر الدعوة من بدايتها، وأدرك دور الشيخ محمد ومكانته في نقل الناس، من حال إلى حال، وتفانيه في سبيل الدعوة . قد أحب هذه الدعوة وأرخ لها وانتقل من أجلها من بلدة الأحساء وسكن الدرعية، حيث توفي بها، نراه في كتابه التاريخي يصف البلاد العربية عامة، ونجداً بصفة خاصة، ويضرب الأمثال بانحراف الناس إلى الوثنية بقبر زيد بن الخطاب الذي كان عليه قبة، وله مزار في بلدة الجبيلة قرب الرياض، إلى جانب قبور وقباب أخرى لبعض الصحابة الذين قتلوا في حروب الردة، ثم ذكر ماكان يعتنق الناس عندها من الشرك بالله من دعاء ونذور، وتبرك وتوسل من دون الله، ولم يقتصر الأمر على القبور، بل تعداها إلى الشجر والحجر والشياطين^(١) .

(١) راجع تاريخ ابن غنام ج ١ ص ٥ - ١٨ .

ونأخذ من تاريخ ابن غنام الذي عاصر الأحداث وسجلها فكرة، ومن تاريخ خلفه ابن بشر الذي أدرك كثيراً من مجريات الأحداث، بأن نجداً قد نالها مانال غيرها من بلاد الإسلام، من الانحراف والتدهور العقدي^(١)، الذي يحركه أصحاب المصالح، ومشايخ الطرق .

ومن هنا بدأت غيرة الشيخ محمد، وتحركت همته للدعوة، أداء لرسالة المعرفة، وتنفيذاً لما يأمره به العلم، حيث رأى أن العلم لابد أن يقترن بالعمل، وأن من الأمانة توضيح ماخفي على الناس، ومايجب عليهم عمله، ويتحتم عليهم تركه، من أمور هي من الإسلام تركت، وأشياء أدخلت عليه وسارت في حياة الناس على أنها من مستلزمات العقيدة، أو جزء من أوامر الدين، وهم لا يدركون الحقيقة .

ذلك أن العلماء المنتفعون، أو الجهلة المتعاملون، ورجال الطرق الصوفية، قد لبسوا الأمر، وأفسدوا المعتقدات، وصرفوا الناس عن الفهم الحقيقي لشرائع الإسلام، ووجهوهم إلى ما يحلو لهم في المكتسب الديني، والاستعلاء في السيادة .

فكان يقيناً أن تلقى هذه الدعوة التصحيحية السلفية جحوداً ونكراناً من المقربين العارفين، وتوجساً وخيفة من الآخرين المتطلعين، وعداء من الخصوم وأرباب المصالح .

ومن هنا بدأت الاتهامات تتوافد، والسهام تشرع، والأفكار تعمل لحبك الأكاذيب، واختراع الألقاب المنفرة .

وهذا شيء ينتظر في كل أمر جديد، وفكر مناهض لما ألفه الناس،

(٢) راجع تاريخ ابن بشر: عنوان المجد في تاريخ نجد ج ١ ص ٣٤ - ٣٥، ص ٤٤ - ٤٥ .

وساروا عليه قولاً وعملاً، فقديماً قال عرب الجاهلية للنبي ﷺ: «إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون»^(١).

لكنه غير مقبول بعد انتهاء فترة الاختبار، وظهور الحجة الساطعة، بعد البلوى والامتحان، وبعد النقاش والحوار، والمداولة والمجادلة.

فقد أثبتت المراسلات الهادئة، والكتابات الهادفة، وآراء العلماء المتزينين الذين حاوروا في مكة مجموعة من علماء الدعوة بأن الإمام سعود بن عبدالعزيز الذي سار على دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، لم ينتهج أمراً بدعاً، ولم يخالف في دعوته ما صح عن رسول الله ﷺ وأن الشيخ محمداً لم يستدل في كتبه بغير الآيات القرآنية الكريمت، والأحاديث النبوية الصحيحة، حسبما دار من حوار بين علماء مكة وعلماء نجد ذلك الوقت، وبين ابن سعود وعلماء نجد من جانب، وعلماء المغرب من جانب آخر عام ١٢٢٦هـ، كما رصد ذلك في تاريخ المغرب^(٢).

وسوف أستعرض في هذا البحث أسماء بعض العلماء من نجد، الذين ناوؤوا دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وخرجوا من نجد يحملون العداء للدعوة، والكذب عليها، وتشويهها أمام المسلمين، فاقتنع بكلامهم ودعواهم البعيدون، وتأثروا بمقالاتهم، بينما هم لم يعرفوا عن الدعوة شيئاً من غير هذا الجانب، ولم يدركوا سبب الافتراء عليها ومبررات الكذب والبهتان، ضد الشيخ محمد ودعوته.

(١) سورة الزخرف آية ٢٣.

(٢) راجع في هذا كتاب الإعلام بمن حل بمراكش وأغامت من الأعلام ج ١٠ ص ٧٠-٧١، وكتاب الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ج ٨ ص ١٢٠-١٢٢. وانظر البيان المفيد فيما اتفق عليه علماء مكة ونجد من عقائد التوحيد الطبعة الأولى عام ١٢٤٤ هـ.

وقد نلتمس لبعض العلماء في ديار الإسلام عذراً، إذا جاءهم أناس من أبناء المنطقة يجأرون إليهم، ويصفون الدعوة بنعوت قد توافق أهواء في النفوس، أثار بعضها أصحاب المصالح من الدول الاستعمارية، وبحرك ذلك ماعرف لدى العلماء من حسد وتناحر وتعصب، واختلاف .

كما دفعني للحديث في هذا الموضوع : كتاب فقهي قديم على مذهب الإمام مالك، له رغبة كبيرة في نفوس إخواننا المغاربة، وقد طبع حديثاً في بيروت عن طريق دار الغرب الإسلامي، اسم الكتاب : (المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء افريقيا والأندلس والمغرب) . والمؤلف هو: أحمد بن يحيى النونريسي . وقد نشرته دار الغرب الإسلامي في بيروت عام ١٤٠١هـ، ١٩٨١هـ .

لقد لفت نظري مارأيت في الجزء ١١ ص ١٦٨ تحت عنوان سؤال، جاء بهذه العبارة: كيف يعامل معتنقوا المذهب الوهابي؟؟!!

وهو سؤال ملفت للنظر، ومثير للانتباه، خاصة وأن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله الإصلاحية التجديدية، المصححة لأمر العقيدة الإسلامية مما داخلها، قد كادت لاتعرف إلا بهذا الاسم الذي أطلقه أعداؤها، على هذه الدعوة، ومن يتعاطف معها أو يسير على منوالها، حتى ولو كان لايعرف من هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ولا أين قامت دعوته؟؟!!

هذا الاصطلاح جاء من باب التنفير، حيث حركت ذلك اللقب ودعت إليه بعض الطرق الصوفية ومصالحها، أو الرغبة في تفكيك المسلمين ومباعدتهم عن دينهم الحقيقي حسب منهج رسول الله وخلفائه الراشدين .

فوافق ذلك هوى في نفوس أعداء الدين الإسلامي، الحريصين على تفكيك وحدة المسلمين، وتفتيت ما بين أبناء الإسلام من أواصر ومحبة يدعو إليها دينهم، وتهتم بها تعاليمه :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرَكُمُ مِنْ قَوْمٍ (٢) .

«مثل المؤمنين في توادهم وتراحهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمل والسهر» (٢) .

وما ذلك إلا لإذكاء روح التناحر والبغضاء في صفوف المسلمين، لأنهم أدركوا تأثير الكلمة فيما يتعلق بأمور الدين من جهة، ومن أخرى فلأن نسبة الأمية آنذاك في العالم الإسلامي عالية جداً، فالناس لا يقرؤون ليعرفوا، ولا يفهمون إلا ما يقال لهم عن طريق أناسٍ نصبوا من أنفسهم علماء وهم أدعياء للعلم، حيث توجههم السلطات ويرون أن ما خرج عن هؤلاء يجب أن يعتقده الناس، رغم وجود أصوات تنادي بالحق، وتدعو إليه بسطاً وتوجيهاً، ولكن عينهم بصيرة، ويدهم قصيرة كما يقال في المثل .

وقد ذكر الشيخ عبدالله بن عبدالغني خياط إمام وخطيب الحرم المكي الشريف في لمحاته التي تصدر كل ثلاثاء في جريدة عكاظ، بأن الأستاذ أحمد علي الكاظمي قد أورد في كتاب ألفه كلمة قصيرة عن ضابط بريطاني اسمه (هارفورد برايجس) كان يقيم في العراق كوكيل سياسي من سنة ١١٩٩ هـ، إلى سنة ١٢٠٩ هـ، وكان يعاصر الإمام محمد، وكانت له صلات مع الأمير سعود بن عبدالعزيز - الذي أصبح فيما بعد الحاكم الثالث للدولة السعودية الأولى بعد أن تولى الأمر بعد مقتل والده عام ١٢١٨ هـ، - ولهذا الضابط

(١) سورة الحجرات آية ١٠ .

(٢) حديث رواه الترمذي .

تاريخ موجز عن الوهابية - ونص الكلمة كالآتي : « لقد أشاع الباب العالي أن ابن سعود كان يمنع الناس من زيارة المدينة المنورة ، ولكن الصحيح أنه يمنع الناس من ارتكاب أعمال الشرك أمام الروضة ، كما منع الناس من عبادة قبور الأولياء .

وقد ظن البسطاء اعتماداً على قول أصحاب النفوذ من ولاية وغيرهم أن الوهابية - أو دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية - كفر ، وأن من يسير عليها ، إنما هو كافر .

ولكن الصحيح الذي عرفة كل من اهتم بدراسة ذلك المعتقد ، أن الشيخ محمد وأتباعه يسرون على نهج الكتاب والسنة في الأصول .

أما في الفقه - وهو الاتجاه المذهبي - فوفق الفقه الحنبلي ، وليسوا مذهباً خامساً كما أطلقوا عليهم من باب التنفير لدى العامة ، والفقه الحنبلي قد انتقل إلى نجد قبل ولادة الشيخ محمد بأكثر من قرن ، أتى به الدارسون في مدرسة الصالحية بدمشق والدارسون في مصر وقبله كان السائد المالكي والحنفي .

وقد صدق برخاردت في قوله : إن كل ما أشيع عن الوهابية سببه سوء فهم حقيقة الدعوة الوهابية ، التي لم تكن إلا تطهيراً داخلياً للإسلام .

فهذه شهادة قررها من لا يتعرف بالإسلام كدين غير أنه منصف حكى الواقع الذي لامرية فيه وقد قال بمثل هذا الرأي كل من : الأستاذ منح هارون في الرد على الكاتب الانجليزي كونت ويلز . والباحث الأمريكي لوثروب ستودارد في كتاب حاضر العالم الإسلامي .

والمستشرق الألماني كارل بروكلمان في كتابه تاريخ الشعوب الإسلامية ، الذي تناول هذه الحركة بالدرس والتحليل في الجزء الرابع .

والمؤرخ الألماني داكوبورت فون ميكوس في كتابه عبدالعزيز وصدر بألمانيا عام ١٩٥٣هـ .

والأستاذ ديلفرد كانتول في كتاب الإسلام في نظر الغرب وقد ألفه جماعة من المستشرقين .

والعالم الفرنسي برنارد لويس في كتابه العرب في التاريخ .

والمستشرق النمساوي جولد زيهلر في كتابه العقيدة والشرعية .

والمستشرق الانجليزي جب في كتابه : المحمدية .

والمستشرق الفرنسي سيديو في كتابه : تاريخ العرب العام .

ودائرة المعارف البريطانية التي جاء فيها : « الوهابية اسم لحركة التطهير في الإسلام ، والوهابيون يتبعون تعاليم الرسول وحده ، ويهملون ماسواها ، وأعداء الوهابية هم أعداء الإسلام الصحيح »^(١) .

أما في بعض ديار الإسلام فهناك أصوات منصفة مسلمة قالت الحق لأنه الحق الذي يجب إبلاغه للناس عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب مثل :

— الشيخ محمد بشير السهسواني الهندي في كتابه صيانة الإنسان عن وسوسة دحلان .

— الشيخ محمود شكري الألوسي العراقي في كتاب ألفه عن تاريخ نجد .

— الشيخ أحمد بن سعيد البغدادي — العراقي في كتابه : نديم الأديب .

(١) راجع كتاب محمد بن عبد الوهاب للأستاذ عبد الله ابن رويشد ج ٢ من ص ٣٤٥-٣٥٤ وفيه مقتطفات من كلام هؤلاء .

الشيخ جمال الدين القاسمي ، والشيخ عبدالرزاق البيطار، والشيخ طاهر الجزائري، والشيخ محمد كامل القصاب في أرض الشام حيث درسها هؤلاء فأعجبوا بها، ورأوا أنها على حق وصواب فنشروها في المجتمع الشامي، ممدفع السلطات العثمانية إلى إحالة عميد الحركة الشيخ جمال الدين القاسمي إلى القضاء في عام ١٩٠٨م. وقد برأه القضاء .

هذا إلى جانب آراء كثير من العلماء مثل :

السيد محمد رشيد رضا في كتابه محاوره المصلح والمقلد، وكتابه الآخر الوهابيون والحجاز، وما ينشره في مجلة المنار. ومحمد كرد علي، وشكيب أرسلان، وفليب حتى، وأمين سعيد، وعلي الطنطاوي، والزركلي، ومحمد جميل بيهم، وعمر أبو النصر، وعبدالمعتال الصعيدي في (المجددون)، وحامد الفقي في أثر الدعوة الوهابية، وعبدالعزیز بكر في الأدب العربي وتاريخه، ومصطفى الحفناوي، والدكتور أحمد أمين في زعماء الإصلاح، ومحمد قاسم في تاريخ أوروبا ومناع القطان في دعوة الإسلام، وعبدالكريم الخطيب في محمد بن عبد الوهاب، ومحمد ضياء الدين في مجلة الارشاد الكويتية رجب عام ١٣٧٣هـ. والدكتور محمد بن عبدالله ماضي في حاضر العالم الاسلامي . وأحمد حسين في مشاهداتي في جزيرة العرب بعد أن أدى فريضة الحج عام ١٩٤٨م (١٣٦٧هـ). والعقاد في الاسلام في القرن العشرين، وطه حسين في بحث نشرة عام ١٣٥٤هـ، عن الحياة الأدبية في جزيرة العرب^(١). والشيخ أحمد بن حجر القاضي بقطر في كتابه: الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ومسعود الندوي في كتابه: مصلح مظلوم ومفتري عليه، والدكتور محمد جميل غازي في كتابه: مجدد القرن الثاني عشر، وأمين

(١) راجع مقتطفات من هذه الاقوال في محمد بن عبد الوهاب لابن رويشد ج ٢ ص ٢٧٥-٣٦٠ .

سعيد في كتابه : سيرة الإمام محمد بن عبد الوهاب ، ومسلم الجهني في كتابه :
أثر حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في العالم الإسلامي وغيرهم كثير
جداً .

وإن ما يرى ويلمس عن تسمية الدعوة السلفية بالوهابية ، فهو مما أطلقه
خصوم هذه الدعوة السلفية التصحيحية ، التي نبعت من الجزيرة العربية ،
غيرة على دين الله ، ولإزالة ما علق بتعاليم الإسلام من شوائب ، ومأدخل
على التوحيد من مشاركة للمخلوق مع الخالق ، في صرف ما هو له جل
وعلا ، مقروناً بالمخلوق ، وفي هذا منافاة لمضمون الحديث القدسي الذي
جاء فيه قول الله جل وعلا ؛ «أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً
أشرك معي فيه غيри تركته وشركه»^(١) .

ومن باب ربط السبب بالمسبب ، ومحاولة التصحيح لما علق بأذهان
الناس عبر مدة زمنية طويلة نقول : إن أولئك الخصوم أعطوا هذه الدعوة
اصطلاحاً في القلب هو : « الوهابية » من باب التنفير والتشويه وتلقفها من
جاء بعدهم ، حيث إن أول من حرك ذلك الاصطلاح ودعى إليه أصحاب
بعض الطرق الصوفية وال دراويش التي أخطأت هي في فهم الدين
الإسلامي على نقاوته ، وكما يجب أن يفهم ، ليتعبد الناس به خالقهم كما
أمروا بذلك ، لأن الاسلام لارهبانية فيه .

وما ذلك إلا أن بعض القائلين على تلك الطرق يحكمون الجانب
الذاتي ، فلا يهتمون إلا بما يتوفر لهم من مصالح ومكاسب دنيوية يخشون
ضياعها ، ونسوا أن تعاليم الإسلام وشرائعه أسمى من ذلك ، وأن إخلاص
العمل يجب أن يراود به الله جل وعلا وحده .

(١) أخرجه مسلم في باب تحريم الرياء عن زهير ابن حرب ص ٢٩١ الأحاديث القدسية .

وسلاحهم في الوصول لما يريدون : التضليل على العوام ، والتبليس أمام السلطة وتخويفها من هذا الصوت الجديد على مصالحها من باب استعدادها عليه .

فتلقف ذلك أعداء الإسلام حيث لقي هوى في نفوسهم ، لحرصهم على تفكيك وحدة المسلمين ، وغرس بذور الشر بينهم ، لأنهم أدركوا ووعوا خطر ماترمي إليهم الدعوة الصحيحة لدين الإسلام ، وإذكاء الحماسة الدينية لدى المسلمين ، على مصالحهم وسيطرتهم على ديار الإسلام .

وهذا الموضوع وإن كان قد كتب الناس فيه كثيراً ، نسأل الله أن ينفع المسلمين بما كتب لهم ، وأن يعيد ضالهم إلى الطريق الأقوم ، فهو سبحانه القادر على ذلك .

إلا أن الذي لفت نظري ، ودفعني للحديث في هذا الجانب ، هو ما وجدته في ذلك الكتاب الفقهي القديم على مذهب الإمام مالك رحمه الله ، حيث أثار انتباهي كما قلت من قبل عنوان هذا السؤال : كيف يعامل معتنقو المذهب الوهابي؟؟!!^(١) .

وفي قراءتي لنص السؤال وجدته كما يلي :

سئل اللخمي عن قوم من الوهبة سكنوا بين أظهر المسلمين زماناً ، وأظهروا الآن مذهبهم وبنوا مسجداً . . إلى آخر ماجاء في السؤال . . الذي ختمه بقوله : فهل لمن بسط الله يده في الأرض الإنكار عليهم وضربهم ، وسجنهم حتى يتوبوا من ذلك؟؟

ولما كان الجواب فيه قساوة وحدة ، ولم يفصل عن هذه الفرقة ، وما إذا كانت نسبة إلى عبدالله بن وهب الراسبي الخارجي المتوفي عام ٣٨٨ هـ في وقعة

(١) انظر ص ٢٠ من هذا البحث .

النهروان مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأنه قد خرج عليه بعد التحكيم^(١)، أو نسبة إلى شيء آخر أياً كان زمانه ومكانه .

وأنه لم يشر فيه إلى شيء آخر غير هذا، بل إن أحد الإخوة من المغرب العربي قد فهم كما يتبادر للذهن لدى آخرين، بأن المقصود من ذلك دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لأن المعهود الذكرى يتغلب على مايراد بحثه واستقصاؤه، ومع هذا فإن صاحب هذا الفهم من ذوي العلم والمكانة، حيث جرى معه حوار تراجع — بحمد الله — عن فهمه السابق بموجبه، وهذه الرسالة استجابه لمطلبه .

وقد يعذر هو وغيره لأن الهجوم منصب على هذه الدعوة من كل جانب، والدفاع عنها قليل، ولأن هذه التسمية قد طغت وعمت، وفتاوى علماء المغرب القديمة، على الوهابية الرستمية الخارجية الأباضية تنفر الناس منها، وتكفر أتباعها لما عرفوه عنها من مخالفة لأهل السنة والجماعة، إذ قد أفتى غير اللخمي علماء آخرون كالشيخ السيوري .

ومن هنا فقد أحبيت التثبت أولاً عن يعني السائل والمجيب، ثم إزالة ما في الأمر من لبس، وجلاء ذلك الإشتباه الذي قد لا يدركه كثير من الناس، من باب أمانة العلم وتوثيق المعلومات، ولأن هذا اللبس قد امتدت بعض المفاهيم حوله، وألبست ثوباً جاهزاً على دعوة سلفية تباين ذلك الاتجاه وتحالفه .

(١) انظر الكامل لابن الأثير في حوادث عام ٣٨ هـ .

الوهابية أو الوهبية . . من هم؟! :-

في القرن الثاني الهجري ، وعلى يد عبد الوهاب بن رستم ، انتشرت في الشمال الأفريقي فرقة الوهابية نسبة إلى عبد الوهاب هذا ، وهي فرقة متفرعة عن الوهبية الفرقة الإباضية الخارجية ، نسبة إلى مؤسسها الأصلي عبدالله بن وهب الراسبي ، وبعضهم يسميها الراسبية .

ولما كان أهل السنة بالمغرب كله يناوئونها لأنها تخالفهم في المعتقد ، وقد كفرهم كثير من علمائهم ، كما نلمس في فتاواهم القديمة .

ومن هنا أحببت التوثق من المصادر المهمة بهذا ، ولذا فقد رجعت لترجمة حياة علي بن محمد اللخمي ، وهو الذي وجه إليه السؤال فإذا هو قد توفي عام ٤٧٨هـ ، وأنه فقيه مالكي قيرواني الأصل توفي بسفاقس^(١) .

أما المؤلف أحمد بن يحيى الونشريسي ، فقد جاء على غلاف كل جزء من أجزاء المعيار - طرته - وتحت اسمه بأنه توفي بفاس عام ٩١٤هـ .

ولما كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب وهو صاحب الدعوة السلفية التصحيحية في نجد ، لم يكن قد ولد بعد ، حيث إن ولادته عام ١١١٥هـ ، بالعينية ، وبدأ الدعوة مع الإمام محمد بن سعود بالدرعية منذ عام ١١٥٨هـ .

وعلى هذا فإن هذا الجواب الذي ترتب عن السؤال قد سبق ولادته بأكثر من ستمائة عام بالنسبة لوفاة المجيب وهو اللخمي ، وأكثر من مائتي عام بالنسبة لوفاة المؤلف الونشريسي .

وكلا الأمرين يحدثان لبساً لدى من يريد المقارنة ، ووضع الأمور في نصابها .

(١) انظر الحلل السندسية ص ١٤٣ والأعلام للزركلي ج ٥ ص ١٤٨ .

وهذا الامر قد دفعني للبحث تأريخياً في كتب المغرب عن أصل ذلك المذهب ومتى وجد، لأن في الأمر لبساً لا بد من جلائه . إما بمعرفة المقصود، أو أن زيادة قد حصلت في الكتاب لم يكن للمجيب والمؤلف ضلع فيها .

خاصة وأن هذا السؤال وجوابه قد جاء في كلام الونشريسي مرة باسم الوهبية، وأخرى بالوهابية، ولم يعلق الناشر أو المحقق عليه شيء، مما يجعلني أعتقد أن كثيراً من كتب المغاربة، وخاصة منها ما يتعلق بالعقائد، قد تعرض لمثل هذا شيء من التوضيح، في أماكن متفرقة .

ومن باب ربط الحوادث التاريخية بمصادرها، وإشراك القارئ في قراءة ورصد ماتحفل به بعض المصادر، فإن الموضوع يحتاج إلى مراجعة تاريخية متفحصه، لكي نعرف ما يحاول دسه أعداء الاسلام في تاريخ أمة الإسلام، للتفنير من كل عمل تصحيحي عقدي في المجتمع الإسلامي، لأنهم يعرفون حقيقة الإسلام وما يضيفه على أبنائه إذا ساروا على منهجه الصحيح جيداً، وما يعود به على الأمة من ألفة ومحبة وترايط، لا تستطيع معه قوى الشر أن تنفذ لديار الاسلام أو تجد بين أبناء المسلمين مستقراً، أخذاً من حديث رسول الله ﷺ الذي قال فيه: « أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي وذكر منهن: « ونصرت بالرعب مسيرة شهر»^(١) .

فلا بد أن يجدوا منفذاً في ديار الإسلام، للاستفادة من خيراتهم بالتركيز على كلمتهم المعهودة: فرق تسد . فسيادة أعداء الإسلام في ديار الإسلام، وتمكنهم من التصرف في أمورهم، واستثمار خيرات بلادهم والتسلط عليهم فكرياً، كل هذا لا يتم إلا ببيت الفرقة، وإيجاد مسببات الشحناء، وبذور الكراهية بين الأفراد والجماعات .

(١) متفق عليه .

وأعداء الإسلام كالشيطان الذي يسترق السمع فإذا وجد كلمة بنى عليها كذبات كثيرة لإفساد ذات البين وبليلة الأفكار .

واستنتج هذا من بعض النصوص التاريخية ، والوقائع الزمنية التي وقع نظري على جزء منها حيث تراءى أمامي أثناء البحث مايلي عن الفرقة الوهابية التي بشمال أفريقيا :

١ - جاء في كتاب المغرب الكبير الجزء الثاني : العصر العباسي للدكتور السيد عبدالعزيز سالم أن عبدالرحمن بن رستم الذي أسس الدولة الرستمية في مدينة تاهرت بالمغرب . عندما أحس بدنو أجله في ١٧١ هـ ، أوصى بالأمر لسبعة من خيرة رجال الدولة الرستمية ، ومن بينهم ابنه عبدالوهاب ، ويزيد بن فنديك ، وقد بويع عبدالوهاب ، مما ترتب عليه نشوء خلاف بينه وبين ابن فنديك .

وقد انقسمت الإباضية - التي هي ديانة ابن رستم ومن معه ، حيث نقلها من المشرق إلى المغرب - إلى فرقتين : الوهابية نسبة إلى عبدالوهاب بن عبدالرحمن ابن رستم ، والنكارية ، ودارت بين الطرفين معارك ومقاتل تنهزم فيها النكارية إلى ان قتل زعيمها ابن قنديره ، وفي حالة ضعف من النكارية انضم إليهم الواصلية المعتزلة .

وقد عزم عبدالوهاب هذا على الحج في آخر حياته ، إلا أن أتباعه نصحوه بالبقاء في « نفوسة » خوفاً عليه من العباسيين .

وقد توفي عبدالوهاب هذا الذي يعتبر المؤسس للدولة الرستمية ذات الاتساع في شمال افريقيا عام ٢١١ هـ (١) .

(١) انظر هذا الكتاب ج ٢ من ص ٥٥١ إلى ص ٥٥٧ طباعة دار النهضة العربية بيروت . وفيه معلومات أشمل عن عبدالوهاب هذا ودولته .

٢ - أما المؤلف الفرنسي شارلي أندري ، فقد تحدث في كتابه (تاريخ افريقيا الشمالية) تعريب محمد مزالي ، والبشير بن سلامة عن ممالك الخوارج ، ومن ضمنها مملكة تاهرت التي هي الدولة الرستمية ، وقد أفاض في حديثه عن معتقداتها ، واتساعها ومعالمها الحضارية وتسميتها بالوهابية نسبة إلى عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم الذي خالف أهل ملته كما أبان بأنها تحالف أهل السنة في المعتقد^(١) .

٣ - كما تحدث الفرد بل في كتابه (الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي) من الفتح العربي حتى اليوم ، وقد ترجم هذا الكتاب عن الفرنسية عبد الرحمن بدوي في عدة مواضع ، وقال بأن الخوارج الوهابيين الذين سمو نسبة إلى عبدالله بن وهب الراسبي ، الذي قاتله الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه في النهروان هم خوارج أباضية .

وعن انقسامهم أيضاً حيث قال : بأن أباضية المغرب في تاهرت منهم ، وهم الذين كانت دولتهم الرستمية ، وكانوا أشد الفرق تعصباً .

ثم قال عن اتباع عبد الوهاب بن رستم هذا الذي سميت فرقته بالوهابية نسبة إليه لما أحدثه في المذهب من تغيرات ومعتقدات : بأنهم أشد الأباضية تقوى ، وكانوا يكرهون الشيعة قدر كراهيتهم لأهل السنة^(٢) .

٤ - والزركلي في الأعلام أخذ خلاصة من عشرة كتب تعرضت لسيرة الأباضية . والدولة الرستمية في تيهرت بالجزائر ، ومما جاء في كلامه عنه بأن عبد الوهاب هذا ثاني الأئمة الرستميين من الأباضية ، فارسي الأصل كان مرشحاً للإمامة في حياة أبيه ، وجعلها أبوه شوري فوليها بعد وفاته بنحو شهر

(١) راجع الجزء الثاني من هذا الكتاب من ص ٤٠ إلى ص ٥٠ ، ومواطن أخرى .

(٢) انظر ص ١٥٠ ، ومن ص ١٤٠ إلى ص ١٥٢ من هذا الكتاب .

سنة ١٧١هـ، واجتمع له من أمر الإباضية وغيرهم ما لم يجتمع مثله لزعيم إباضي قبله، وكان فقيهاً عالماً، شجاعاً يباشر الحروب بنفسه وله مواقف كثيرة مذكورة واستمر إلى أن توفي، وفي تاريخ وفاته خلاف، والزركلي يرجح أن وفاته ١٩٠هـ (١).

ومن هذه النبذة الصغيرة نستدل على أن هذه الفرقة قد رصد عنها أشياء كثيرة، ليس من الفرنسيين وحدهم - بل من أبناء البلاد أيضاً، منه ماجرى الاطلاع عليه، وأكثره لم نطلع عليه.

لأن عبد الوهاب الرستمي هذا قد جعل من تاهرت مركزاً فكرياً، وفتح باب الجدل مع علماء السنة، ثم الشيعة التي قامت دولتهم في نهاية القرن الثالث الهجري باسم الدولة الفاطمية، حيث قضى عبدالله الشيعي في عام ٢٩٦هـ، على الدولة الرستمية (٢).

مما تبلور عنه تفنيد معتقدات الرستميين، التي تختلف مع ما يراه أهل السنة والجماعة، وثبتت به الأحاديث الصحيحة.

وهذا الحوار هو الذي تفتق عنه جذور عميقة عند علماء وفقهاء المغرب، حول هذه الفرقة ومعتقداتها.

وقد استغل المستعمرون وأصحاب المصالح تلك الجذور، في إذكاء العداوة بين أبناء المسلمين فيما بعد، فألبسوا الثوب القديم، بما فيه من عيوب، وما عليه من مثالب لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله. ودعوته الإصلاحية السلفية كما ألبسوا هذا الثوب لكل دعوة تدعو إلى نقاوة الإسلام. والاقتداء بالمسيرة الأولى في تبليغ دين الله الحق منذ قام بها رسول

(١) راجع الأعلام ج ٤ ص ٣٣٣-٤٣٣ ومن هامشه يتضح مراجعة لمن يرغب الاستزادة.

(٢) انظر البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ج ١ ص ١٩٧ وفيه سمي عبد الوهاب عبد الوارث.

الله ﷻ وأصحابه من بعده . مستغلين الحزازات ضد الدعوة الجديدة التي جاءت لإصلاح العقائد، وإعادة الناس إلى منزلة الإسلام الأولى، التي سار عليها الصفوة الأولى من أمة الإسلام مدة ثلاثة قرون، لم تعرف الدخائل ولا البدع، اللهم إلا فرقاً عرفت بمباعدتها للإسلام حيث قوتلت في وقائع كثيرة ابتداء من الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، الذي جرد سيفه لقتالهم، اتباعاً لمنهج الرسالة المحمدية، التي حاد عنها أولئك الذين خرجوا عليه .

الاستعمار . . ومواجهة الدعوة: - .

كما هي عادة أعداء الإسلام، لا يدخلون في المواجهة مع الإسلام، لمعرفتهم بعدم الصمود لأن حججهم واهية، ولكنهم يستغلون فئات من المتممين للإسلام، ليجعلوهم جسوراً يعبرون منهم إلى مآربهم ويضعون باسمهم الشبهات، حيث أدرك الصليبيون والحاقدون على الإسلام من واقع مجريات الأمور في الأندلس، وفي أرض الشام، وفي حروب الدولة العثمانية مع أوروبا وغير ذلك من المواقف العديدة، أن الإسلام الصافي من الشوائب، والحريص أبناؤه على نشر دين الله، وتخليص الأمم الأخرى مما يخالفه هو عدوهم الأول، فلا يستطيعون مجابهته لأنه هو المنتصر، إذأ فلا بد من تشويه صورته، وتفرقة أبنائه، وإثارة الفتن والقلقل في بيئته .

أولاً: فالانجليز مثلاً لمسوا آثار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية، في أعظم مكان يعتزون باستعمارهم والاستيلاء على خيراته، عندما تلقفها الهنود على يد الداعية الإسلامي: أحمد بن عرفان الشهير بأحمد باريلي، وأتباعه، وفي حركات أخرى مثل: «الفراتيين وتيتومان» نزار علي^(١) .

(١) انظر انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية تأليف محمد كمال جمعة ص ٨٧-٦٣ .

تلك الدعوات التي ناوت القاديانية الكافرة، التي أرادها الانجليز واجهة إسلامية تحقق مآربهم، وينضوي تحتها من لا يعرف من الإسلام إلا اسمه .

ويظهر انزعاج الانجليز، وحرصهم على القضاء على دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي تمثل يقظة جديدة في الدين الإسلامي، ودعوة إلى فهمه من مصادره الصافية: كتاب الله، وسنة رسوله محمد ﷺ، أنهم بذلوا جهوداً وأموالاً في هذا السبيل، وقد أبانت رحلة «سادلير» الضابط البريطاني وقائد الفوج ٤٧، ومبعوث الحكومة البريطانية في الهند، الذي قام برحلة شاقة من الهند إلى أن وصل الرياض، ووقف على أطلال الدرعية التي هدمها إبراهيم باشا بناء على تخطيط اشترك في الإعداد له الانجليز، ليطمئن على تفتت الحكومة الإسلامية التي تحركت في الجزيرة لإيقاظ المسلمين، والقضاء على قاعدة الدعوة السلفية بنفسه، لما أحدثته من خوف وقلق بداخل الحكومة الانجليزية خوفاً على مصالحها، وقد كان في رحلته هذه ضمن قافلة كبيرة أغلبها من الأتراك، أبانت هذه الرحلة جانباً مهماً في التعاطف والحرص على القضاء على هذه الدعوة التي تمثل يقظة إسلامية توحد المسلمين، كما أبانت عن حقد الانجليز على الإسلام، ذلك الحقد المخطط له من التبشير الكنسي الموجه بأفكار المستشرقين، ودسائسهم .

فقد مر بالدرعية متشفياً في ١٣ اغسطس من عام ١٨١٩ م^(١)، وبعد أن ارتاحت نفسه شد الرجال لاحقاً بإبراهيم باشا حتى أدركه في آبار علي، على مقربة من المدينة المنورة ليقدم له التهاني بهذا النصر، مقرونة بهدايا حكومة الهند الشرقية (الحكومة البريطانية)^(٢) هذا من جانب، ومن جانب

(١) راجع رحلته ترجمة أنس الرفاعي وتحقيق سعود بن غانم العجمي ص ٨٥-٨٧، وص ٩٦-٩٩ .

(٢) نفس المصدر من ص ١٠٥-١١٠، وص ١٥٦-١٥٩ .

آخر حتى يطمئن الحكومة البريطانية على نتائج القضاء على قادة هذه الدعوة، وهدم وتدمير قاعدة الملك فيها، وذلك عام ١٢٣٣هـ، لأن آثارها قد امتدت لمواطن أقدام الانجليز في ديار الإسلام في كل مكان .

وكان سادليير يكرر عبارات التشفي والارتياح، للقضاء على دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مثل قوله: «مع سقوط الدرعية، وخروج عبدالله عنها، يبدو أن جذور الوهابيين قد انطفأت، فقد عرفت من كل البدو الذين قابلتهم في نجد أنهم سنيون وأنهم يداومون على الصلاة المفروضة حتى في السفر الطويل وتحت أقسى الظروف»^(١) .

ثم من باب التفرقة أيضاً في داخل البلد الواحد يقول «إن البدو لم يثبتوا على الوهابية إلا مرغمين وذلك حين كانت الدعوة قوية، وسهلت لهم سبل النهب»^(٢) .

مع أن الدولة السعودية منذ أن قامت على ركيزة الدعوة إلى الله، مع دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في عام ١١٥٨هـ، كانت تحكم شرع الله، وتقطع يد السارق، فأمنت الطرق لأن أول ما حاربته النهب والاعتداء على الناس، أو أخذ أموالهم .

وهذا وغيره من كلامه فيه تناقض وتشويه للحقيقة، وخداع للناس بما يعطي من معلومات، لأسباب جاءت في كتابه عندما تحدث عن قوة القواسم البحرية في الخليج والبحر العربي، حتى وصلوا إلى بومباي في الهند، وهاجموا سفناً عديدة لحكومة الهند الشرقية، وسفناً حربية انجليزية، والقواسم ممن أيد الدعوة السلفية فهم يعاضدونهم، لأن مبادئ الدعوة السلفية تحض على

(١) نفس المصدر ص ١٤٩ .

(٢) نفس المصدر ص ١٥٠ .

مقاومة السلطان الأجنبي لأنهم كفار لا يحق لهم بسط النفوذ على ديار الإسلام .

ولأن ولاية الكافر لا تجوز على المسلم ، فالمسلمون يجب أن يلوا أمورهم بأنفسهم ليحكموا شرع الله في بلادهم .

وقد تحدث سادلير في كتابه هذا كثيراً عن هذا الموضوع الذي أرق بريطانيا فتحدث مع إبراهيم باشا ، وحمل كتاباً من الانجليز له ، بطلب التحالف ضد القواسم ، وعن دور بريطانيا في شرق الجزيرة العربية لمناوأة كل من يؤيد الدعوة السلفية ، التي أيقظت همة الناس وفتحت مغاليق أفكارهم ، وحركتهم من سبات عميق .

وقد ظهرت همومه وسمومه ضد الإسلام والمسلمين في مواقف :

١ - بث العداء بين أهل اليمن ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب كقوله : وقد سقط آخر زعيم يماني وهابي خلال إقامة هذا الباشا - ويعني خليل باشا - وهذا الزعيم هو محمود بن محمد ، الذي جيء به مكبلاً بالأغلال إلى حبك ومن هناك أرسل بسفينة إلى مصر . إلى آخر حديثه عن اليمن^(١) ومثل هذا ماهو إلا محاولة للتفرقة بين أبناء الأمة الواحدة كما قال عن عثمان وأبناء الجزيرة العربية كلاماً يدعو للتفرقة مع أن أبناء الجزيرة جميعاً يربطهم الإسلام ويجمع شملهم مصدرا التشريع فيه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ^(٢) .

٢ - وصفه التساهل الديني بالتقدم الحضاري ، والمحافظة على شعائر الإسلام بالتناقض مع متطلبات النفس في مثل قوله : يصف بدونجد : وهم

(١) انظر كتاب هذا ص ١٥١-١٥٣ ، وص ١٤٨ .

(٢) انظر كتاب هذا ص ١٠٨ .

حريصون جداً على عباداتهم ولا يهتمون أياً من الصلوات المفروضة مهما كان المسير طويلاً في أسفارهم وتحت أشق أنواع الحرمان والعوز، ويظهر التناقض الغريب عنده بمقارنة هؤلاء البدو مع الأتراك الذين يتسمون بثقافة روحية أكثر، لكنهم لا يسمحون للدين أو للصلوات أن تتعارض مع راحتهم واطمئنانهم أبداً^(١) .

٣ — محاولة الخط من قدر أهل المدينة المنورة، ووصفهم بنعوت كثيرة كالشحاذين والجشع . وأن من حقهم — اعتقاداً — أن يكونوا متغطرسين، وأنهم يعيشون على صدقات الحجاج إلى غير هذا مما ينبىء عن جذور صليبية^(٢) .

٤ — لكن الأغرب من ذلك أن يقول سادليز عن إبراهيم باشا :

أ — بأنه تناول معه الطعام على الطريقة الانجليزية وأنه تحدث معه عن رحلته، وأعطاه الهدايا البريطانية والخطابات، قبل دخوله المدينة للسلام على الرسول ﷺ وقدم له الشاي والدخان، والسعوط، والغلايين، وفنجان القهوة يقدم في صحن مرصع بالألماس^(٣) .

ب — إنه ليس إلا ولد متبني لمحمد علي، وعندما ترعرع أمضى سنة كرهينة في استنبول، ويقال إن إبراهيم باشا ولد بعد شهور قلائل من زواج والديه، لكنه كان مفرطاً في إدمانه على الخمر، وجلفاً مع الأشخاص المستخدمين عنده^(٤) .

(١) انظر رحلته هذه: رحلة عبر الجزيرة العربية ص ١٤٩ .

(٢) انظر رحلته هذه ص ١١٦، ١١٨ .

(٣) انظر رحلته هذه ص ١٠٥، وص ١٠٦، ص ١٠٩، ص ١١٠ .

(٤) نفس المصدر ص ١٣٧، وانظر بالتفصيل من ص ١٣٧ إلى ص ١٤٣ .

ج - وفي موطن آخر يقول: وكان يشرف على خدمة بعض الممالك فقط، ولدى دخوله أرض (محمد) المقدسة صمم سعادته على إعتزال اللهو والمسكرات فأهدر كل ماكان مختزناً عنده منها، مماأتى به من القاهرة، وكان ذلك قبل انطلاقه نحو المدينة^(١).

ثانياً: والفرنسيون أيضاً لهم دور، فقد أحسوا باهتمام الشمال الأفريقي بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وحرصهم عليها في مثل:

١ - اهتمام سيدي محمد بن عبد الله العلوي، سلطان المغرب الأقصى بها حيث قام بمحاربة البدع والانحراف، كما كان يحارب تشعب الطرق الصوفية، ويدعو إلى العودة إلى الاجتهاد وإلى السنة^(٢) إلى جانب حرصه الشديد وحرص الدولة العلوية منذ أن قامت على محاربة النصارى. وفي تعاطفهم مع الدعوة السلفية قوة تمتد إلى نفوذ الفرنسيين.

هذا السلطان هو الذي وصفه المؤرخ الفرنسي شارلي جوليان بقوله: وكان سيدي محمد وهو التقي الورع على علم بواسطة الحجيج بانتشار الحركة الوهابية في الجزيرة العربية وتأييد عائلة آل سعود لها، وقد أعجب بعباراتها، وكان يؤثر عنه قوله: «أنا مالكي المذهب وهابي العقيدة، وقد ذهبت به حماسته الدينية إلى الأذن باتلاف الكتب المتساهلة في الدين، والمحللة لمذهب الأشعرية، وتهديم بعض الزوايا^(٣)».

٢ - كما أنه في عام ١٢٢٦هـ، حج جماعة من المغاربة صحبة المولى

(١) نفس المصدر السابق ص ١٣٧، وانظر بالتفصيل من ص ١٣٧ إلى ص ١٤٣.

(٢) انظر كتاب انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٢٣٥ تأليف محمد جمعة كمال نشرته الدارة.

(٣) انظر كتابه: تاريخ افريقيا الشالية ج ٢ ص ٣١١.

إبراهيم بن السلطان المولى سليمان سلطان المغرب، ونقل عنهم صاحب كتاب الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى : أنهم مارأوا من ابن سعود ما يخالف ما عرفوه من ظاهر الشريعة، وإنما شاهدوا منه ومن أتباعه ما به الاستقامة، والقيام بشعائر الإسلام من صلاة وطهارة وصيام ونهي عن المنكر، وتنقية الحرمين من الآثام^(١).

٣ - رسالة بعث بها الامام سعود بن عبدالعزيز لأهل تونس يشرح فيها حقيقة التوحيد، وأصول الدين، وهي رسالة طويلة تقع في ثلاث صفحات مطبوعة، كما جاءت في صحيفة ألمانية ضمن مقال طويل باللغة الألمانية لأحد المستشرقين عن الوهابية في المغرب، أما الرسالة فقد كتبت باللغة العربية^(٢).

٤ - والسلطان سليمان بن محمد بن عبدالله الذي بويع في فاس عام ١٢٢٦هـ، كان معاصراً للإمام عبدالله ابن سعود، ووالده الإمام سعود بن عبدالعزيز الذي دخل مكة عام ١٢١٧هـ، الموافق لعام ١٨٠٢هـ، أراد أن يتحقق من ابن سعود وما يدعوا اليه، فأرسل ابنه المولى ابراهيم في جماعة من علماء المغرب، وأعيانه ومعه جواب من والده. فوصلوا إلى الحجاز وقضوا المناسك، وزاروا الروضة المشرفة، كل هذا على الأمن والأمان والبر والإحسان، ويقول في هذا الشيخ أحمد الناصري صاحب كتاب الاستقصاء في تاريخ المغرب الأقصى من ص ١١٩ إلى ص ١٢٣ : حدثنا جماعة وافرة من حجج المولى ابراهيم في تلك السنة أنهم مارأوا من ذلك السلطان - يعني ابن سعود - ما يخالف ما عرفوه من ظاهر الشريعة، وإنما شاهدوا منه ومن

(١) انظر هذا الكتاب التاريخي في أحداث عام ١٢٢٦هـ .

(٢) انظر صحيفة اسلاميكا ISLAMIGA وهي دورية ألمانية، كما علق على الرسالة الكاتب بتشويه الدعوة بخلاف ما جاء في الرسالة وهذا غير مستغرب من المستشرقين - العدد الأول المجلد السابع عام ١٩٣٥م ص ٧٢ وما بعدها .

أتباعه غاية الاستقامة، والقيام بشعائر الإسلام من صلاة وطهارة وصيام ونهي عن المنكر الحرام، وتنقية الحرمين الشريفين من القاذورات والآثام التي كانت تفعل به من غير نكير، وأنه لما اجتمع بالشریف المولى أبراهيم أظهر له التعظيم الواجب لآل البيت الكريم، وجلس معه كجلوس أحد أصحابه وحاشيته، وكان الذي تولى الكلام معه الفقيه القاضي أبو إسحاق إبراهيم الزرعي، فكان من جملة ما قاله ابن سعود لهم: إن الناس يزعمون أننا مخالفون للسنة المحمدية، فأی شيء رأيتمونا خالفناه من السنة، وأی شيء سمعتموه عنا قبل اجتماعكم بنا؟ فقال له القاضي: بلغنا أنكم تقولون بالاستواء الذاتي المستلزم لجسمية المستوي. فقال له: معاذ الله، إنما نقول كما قال الإمام مالك: الاستواء معلوم والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، والإيمان به واجب، فهل في هذا مخالفة؟ قالوا: لا، وبمثل هذا نقول أيضاً.

ثم قال له القاضي: وبلغنا عنكم أنكم تقولون بعدم حياة النبي ﷺ، وحياة إخوانه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في قبورهم، فلما سمع ذكر النبي ﷺ ارتعد ورفع صوته بالصلاة عليه. وقال: معاذ الله، إنما نقول: إنه ﷺ حي في قبره وكذا غيره من الأنبياء حياة فوق حياة الشهداء

وفي نهاية ذلك الحديث قال المؤلف: وأقول إن السلطان المولى سليمان رحمه الله كان يرى شيئاً من ذلك ولأجله كتب رسالته المشهورة التي تكلم فيها عن حال متفقرة الوقت، وحذر فيها رضي الله عنه من الخروج عن السنة والتغالي في البدعة، وبين فيها آداب زيارة الأولياء، وحذر من غلو العوام في ذلك، وأغلظ فيها مبالغة في النصيح للمسلمين جزاء الله خيراً^(١).

(١) انظر انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لمحمد كمال جمعة ص ٢٣٥-٢٣٧، وانظر الاستقصاء للناصري أيضاً ج ٨ ص ١٢٠/١٢٢.

وينقل الأستاذ محمد كمال جمعة عن دائرة المعارف الإسلامية، بأن المولى سليمان قد تأثر بعد عام ١٨١٠م، بالوهابية أو على الأصح بالدعوة السلفية التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله مما جعله يتخذ موقفاً صارماً ضد المربوطية وهو اللقب الذي كان يطلق في المغرب على الصوفيين^(١).

٥ - كما ينقل عن الدكتور عباس الجراري في محاضرة القاها في عام ١٣٩٩هـ بجامعة الرياض: بأن هذا التيار السلفي في المغرب قد ظهر مرة أخرى في بداية القرن الرابع عشر الهجري حين وجه السلطان الحسن الأول سنة ١٣٠٠هـ، رسالة إلى الشعب المغربي^(٢).

٦ - وقد تحدث أحمد بن حجر عن الحركة السنوسية التي أسسها محمد بن علي السنوسي في الجزائر وأنه تأثر بها عندما كان يطلب العلم في مكة، وقت استيلاء آل سعود عليها، وقد ابتدأ حركته الإصلاحية في الجزائر على ضوء تعاليم الإصلاح الديني الإسلامي الذي أضرم نارها في الجزيرة العربية محمد بن عبد الوهاب^(٣).

ثالثاً وفي مصر: يلمس من يقرأ تاريخ عبدالرحمن الجبرتي المتوفي عام ١٢٣٧هـ، المسمى عجائب الآثار في التراجم والأخبار في مثل قوله: ولغظ الناس في خبر الوهابي، واختلفوا فيه، فمنهم من يجعله خارجياً، ومنهم من يقول بخلاف ذلك لخلو عرضه. ثم أورد رسالة من رسائل الإمام سعود التي أرسل لشيخ الركب المغربي، تتضمن دعوته وعقيدته، وقد بين في تلك الرسالة أمور الدين مجملة، وعرض لبيان الشفاعة، وفتنة تعظيم القبور،

(١) نفس المصدر ص ٢٣٧.

(٢) انظر المصدر السابق ص ٢٣٧-٢٣٨ وفيه تفصيل أكثر، والإستقصاء لأخبار المغرب الأقصى ص ١١٩-١٢٣ ج ٨.

(٣) انظر كتاب محمد بن عبد الوهاب ص ١٠٦-١٠٧.

والنذور - أي للمقبورين - والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واتخاذ
الوسائط عند الله، وأعقب ذلك بقوله: وعلى هذا أقول إن كان كذلك فهذا
ماندين الله به نحن أيضاً، وهو خلاصة لباب التوحيد، وماعلينا من المارقين
والمتعصبين، وقد بسط الكلام في ذلك ابن القيم في كتابه (إغاثة اللهفان)
والحافظ المقرئ (في تجريد التوحيد) والإمام اليوسي في شرح الكبرى -
وذكر كتباً أخرى - كلها تدافع عن حقيقة التوحيد الصافي النقي، الذي هو
صلب دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب^(١).

ومن جانب آخر ذكر الجبرتي مطامع الانجليز في الشمال الإفريقي
المسلم عندما ذكر قصة الانجليز مع أهل الجزائر، لأن لهم صولة واستعداداً
ويغزون مراكب الافرنج ويغنمون منهم غنائم ويأخذون منهم أسرى،
وتحت أيديهم أسرى كثير من الانجليز وغيرهم، فقد جاء الانجليز بمراكبهم
ومعهم مرسوم من السلطان العثماني، ليفتدوا أسراهم بهال، فأعطاهم أهل
الجزائر ما يزيد عن الألف أسير، ودفعوا عن كل أسير مائة وخمسين ريالاً
فرنسياً، ورجعوا من حيث أتوا، إلا أنهم بعد مدة رجعوا وبأيديهم مرسوم
آخر يطلبون باقي الأسرى، فامتنع حاكم الجزائر من ذلك، وترددوا في
المخاطبات، وفي هذه الأثناء وصلت عدة مراكب فأتاروا الحرب والضرب
بطرائقهم المستحدثة، فأحرقوا مراكب أهل الجزائر. وقد أمد سلطان المغرب
مولاي سليمان أهل الجزائر، وبعث اليهم مراكب عوضاً عن الذي
تلف^(٢).

(١) انظر كتابه عجائب الآثار في التراجم والأخبار ج ٣ ص ٢٦٩-٢٨٢ آخر حوادث صفر
سنة ١٢١٨ هـ.

(٢) انظر عجائب الآثار للجبرتي ج ٤ ص ٢٧٦-٢٧٧ وفيه تفاصيل أكثر مما أوردنا.

رابعاً: الإيطاليون: أقلقهم مقام به محمد بن علي السنوسي المولود في الجزائر عام ١٢٠٢هـ، من دعوة اصلاحية في ليبيا لإعادة الإسلام إلى صفائه، ووضعه الصحيح في النفوس تطبيقاً وعملاً، والوقوف ضد الإيطاليين الوافدين، الذين لا يهتمهم إلا استغلال خيرات البلاد، والتفريق بين المسلمين^(١).

كما أقلقهم تأثر الحجاج الصوماليين بها، وامتدادها إلى القرن الأفريقي لقربهم من الجزيرة العربية، وتأثر الحجاج المغاربة بها حيث نقلوا آثارها لبلادهم فقام فيهم مصلحون مجددون.

خامساً: والهولنديون حركهم مالمسوه من اهتمام جديد من المسلمين الذين استولوا على ديارهم ويظهر ذلك واضحاً بالحرص على الولاء لعقيدة الإسلام في جزر سومطرة وجاوة، وسولو بأنندوسيا مما وفد لتلك الديار مع الحجاج المتأثرين بما يجب أن ينقي به المجتمع الإسلامي، وتصفى من شوائبه شعائر الإسلام، بعد أن درس هؤلاء الحجاج دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية التجديدية واهتموا بها بعد أن اطمأنوا إلى سلامة منهجها في إصلاح العقيدة، المستمد من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله الكريم ﷺ، ولما فيها من صفاء الدعوة، وسلامة الاتجاه، والبعد عن الهوى، وأنها لم تأت لمآرب ذاتية.

فلذا نقلوا ذلك بقناعة لبلادهم، حيث قامت دعوات متعددة مثل: الجمعية المحمدية في جاكرتا، التي بدأت الدعوة بنبذ الشوائب والخرافات التي أدخلت على تعاليم الإسلام، مما وقف حائلاً دون اتساع دعوة المستعمرين في تبني فئات إسلامية، أو محسوبة على الإسلام تشجع الخرافة،

(١) انظر تاريخ افريقيا الشمالية ج ٢ ص ٢٢٠.

وتنمي البدع في المجتمع الإسلامي ، مما يستفيد منه المستعمر بتغذية الطائفية ، وتذكية الفتن ، على مبدأ الاستعمار: فرق تسد .

ولقد بدأ هذا التأثير من عام ١٨٠٣م ، الموافق لعام ١٢١٨هـ ، عندما قامت حركة ضد الهولنديين استمرت ١٦ عاماً ، تغلبت فيها قوى الاستعمار على السلفيين الموحدين المتأثرين بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب^(١) .

هذا إلى جانب دول إسلامية عديدة انتقلت إليهم آثار الدعوة مع الحجاج الذين أعجبوا بها لما فيها من تخلص الإسلام من الشوائب التي أدخلت عليه وتخلص البلاد من المستعمر الجاثم عليها ، والحريص على إفساد عقيدة أهلها بما يشيعه من أعمال وما يتيحه من فرص للفساد والإفساد ، ولما يدعو اليه المبشرون من رغبة في تحويل المسلمين إلى النصرانية ، وما يبثه الملحدون وأصحاب النزعات الأخرى ، من دعوة لترد المسلمين عن دينهم ، ومحاولة لإبعادهم عن صفائه ونقاوته ، التي تخاطب العقول المستنيرة .

ولذا كثرت الأصوات المستجيبة في كل مكان كالسودان ومصر والشام واليمن وأفغانستان وجزر الهند الشرقية ونيجريا وبلاد الهوسا وبرنو وبلاد التكرور وغيرها مما ذكره كل من درس حياة الشيخ وأثرها في بلاد الإسلام ، لأنها أيقظت الهمم ، وحركت الناس من سباتهم ، وأوجدت يقظة فكرية ، ورغبة واسعة في إصلاح المجتمع الإسلامي بالدين السليم كما قال بذلك الإمام مالك رحمه الله . مما زلزل أقدام المستعمرين وحرك مشاعرهم ضد هذه الدعوة ، والمعتنقين لمبادئها .

(١) انظر كتاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب لأحمد بن حجر ص ١٠٦ .

الدولة العثمانية . . والدعوة :- .

إن تأثر بعض الأوروبيين وبعض الأتراك وجماعات من الأفارقة، إلى جانب اهتمام مجموعة من المفكرين المسلمين بدعوة الشيخ في بلاد الشام والمغرب وحتى داخل تركيا، وغيرها، كل هذا أثار حفيظة الباب العالي، وأرباب المصالح والمناصب، الذين موهوا الحقيقة على العثمانيين، واغتنموا بعض التصرفات من الأعراب في الحج، فلبسوا الشبه للتنفير ضد هذه الدعوة، لإثارة الحفائظ على من قام بها، واختلاق أشياء لم يكن لها أساس من الصحة .

وفي رسائل الشيخ محمد وإجابات تلاميذه نتبين الجوانب الإيجابية، والحرص من بعض المسلمين استجلاء حقيقة الدعوة من الشيخ نفسه بإرسال رسائل له أجاب عليها مثل :

١ - رسالة الشيخ محمد رحمه الله إلى الشيخ فاضل آل مزيد رئيس بادية الشام التي جاء فيها : فالسبب في المكاتبة أن راشد ابن عربان ذكر لنا عنك كلاماً حسناً سر الخاطر، وذكر عنك أنك طالب مني المكاتبة بسبب مايجيك عنا من كلام العدوان من الكذب والبهتان، وهذا هو الواجب من مثلك أنه لايقبل كلاماً إلا إذا تحققه، ثم بدأ يشرح له ما قيل ويوضح الحقيقة في ذلك وفق شرع الله وهدى رسوله الكريم تفصيلاً وشرحاً^(١) .

٢ - ورسالة الشيخ محمد رحمه الله إلى عبدالرحمن السويدي عالم من أهل العراق جاء فيها : فقد وصل كتابك وسر الخاطر جعلك الله من أئمة المتقين، ومن الدعاة إلى دين سيد المرسلين وأخبرك أني والله الحمد متبع

(١) انظر الرسالة كاملة في الجزء الخامس من مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب نشر جامعة الإمام محمد بن سعود للإسلامية الطبعة الأولى ص ٣٢-٣٣ .

ولست بمبتدع عقيدتي وديني الذي أدين الله به مذهب أهل السنة والجماعة الذي عليه أئمة المسلمين مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم إلى يوم القيامة، لكني بينت للناس إخلاص الدين لله، ونهيتهم عن دعوة الأحياء والأموات من الصالحين وغيرهم، وعن اشتراكهم فيما يعبد الله به من الذبح والنذر والتوكل والسجود، وغير ذلك مما هو حق الله الذي لا يشرك فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل وهو الذي دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم وهو الذي عليه أهل السنة والجماعة^(١).

٣ - رسالة الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي بعث إلى العلماء الأعلام في بلد الله الحرام ويوضح لهم عن المعالم المهمة في دعوته، ومما جاء فيها قوله: جرى علينا من الفتنة ما بلغكم وبلغ غيركم وسببه هدم بنيان في أرضنا على قبور الصالحين، فلما كبر هذا على العامة لظنهم أنه تنقيص للصالحين، ومع هذا نهيناهم عن دعواهم، وأمرناهم بإخلاص الدعاء لله، فلما أظهرنا هذه المسألة مع ما ذكرنا من هدم البنيان على القبور، كبر على العامة جداً، وعاضدهم بعض من يدعى العلم لأسباب أخر لا تخفى على مثلكم، أعظمها اتباع هوى العوام، مع أسباب أخرى، فأشاعوا عنا أنا نسب الصالحين، وأنا على غير جادة العلماء، ورفعوا الأمر إلى المشرق والمغرب وذكروا عنا أشياء يستحي العاقل من ذكرها وأنا أخبركم بما نحن عليه، خبراً لا أستطيع أن أكذب، بسبب أن مثلكم لا يروج عليه الكذب، على أناس متظاهرين بمذهبهم عند الخاص والعام، فنحن والله الحمد متبعون غير مبتدعين، على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وحتى من البهتان الذي أشاع الأعداء أنني أدعي الإجهاد، ولا أتبع الأئمة، فإن بان لكم أن هدم البناء على القبور، والأمر بترك دعوة الصالحين لما أظهرناه، يخالف مذهب سلف الأمة.

(١) انظر الرسالة كاملة في الجزء الخامس من مؤلفات الشيخ محمد نشر جامعة الإمام بالرياض ص ٣٦-٣٨ وانظر الدرر السنية ج ١ ص ٥٤-٥٦.

إلى أن قال: وأنا أشهد الله وملائكته وأشهدكم على دين الله ورسوله
أني متبع لأهل العلم، وما غاب عني من الحق وأخطأت فيه فبينوا لي، وأنا
أشهد الله أني أقبل على الرأس والعين، والرجوع إلى الحق خير من التماهي
في الباطل^(١).

٤ - ورسالته أيضاً إلى عالم من أهل المدينة وفيها يقول: الخط وصل
أوصلك الله إلى رضوانه، وسر الخاطر حيث أخبر بطيبيكم فإن سألت عنا
فالحمد لله الذي بحمده تتم الصالحات، وإن سألت عن سبب الاختلاف
الذي هو بيننا وبين الناس، فما اختلفنا في شيء من شرائع الإسلام من
صلاة وزكاة وصوم وحج وغير ذلك، ولا في شيء من المحرمات، الشيء
الذي عندنا زين، هو عند الناس زين^(٢).

وغير ذلك من الرسائل، حيث تخوفت منها الدولة العثمانية بقياداتها في
العالم الإسلامي نتيجة الجهل، وتعاونوا مع المستعمر من أجل مصالحهم من
جهة، ومن أجل ضرب المسلمين بعضهم ببعض، لتحقيق المآرب بإضعاف
قوة المسلمين، والقضاء على دعوة الإصلاح التي تؤلف بين القلوب، وتجمع
الشمول وتقضي على أسباب الفرقة، باتباع ماجاء به الرسول محمد ﷺ من
عند ربه وما ذلك إلا من جهل هذه القيادات، بما تنص عليه تعاليم
الإسلام، وخوفهم على مراكزهم ومصالحهم، التي قدموها على حكم الله،
وأوامر رسوله ﷺ، باتباع الأهواء والرغبات.

وبذلك يخرج العدو المستعمر هو الكاسب من جانب، ومن جانب آخر
فلأن المسلم لا يقبل ذلك المستعمر المخالف له في دينه، أن يتدخل فيما

(١) انظر المرجع السابق ص ٤٠-٤٢.

(٢) انظر المرجع السابق ص ٤٤-٤٩ وفيها شرح كامل لمعتقد أهل السنة والجماعة.

يتعلق بعقيدته، وإلا انكشفت النوايا، وعادت الحروب الصليبية من جديد .

ولذا فإن هؤلاء الغربيين، ولا يستبعد أن يكون من بينهم يهود يههم ضرب الإسلام كما هي مخططاتهم وأعمالهم منذ حل رسول الله ﷺ في المدينة مهاجراً، والدارس يلمس مثل هذا الشعور لدى عبدالله بن أبي رأس المنافقين في المدينة وعبدالله ابن سبأ اليهودي الذي دخل الإسلام ليفسده من داخله، وليشكك ضعاف الفهم للإسلام في مكانته، فكان أول من أنشأ فرقة فيه عرفت باسم السبائية .

كما نلمس هذا في دراسات المستشرقين الذين حاولوا تشويه صورة الإسلام في العصر الحديث للتفنير منه، والدس في فكره وتأريخه، وغالبيتهم من اليهود .

فقد بدأ هؤلاء جميعاً يقلبون صفحات التاريخ، وينبشون الماضي، عليهم يجدون أشياء ترضي أصحاب الأهواء من أدعياء العلم الذين نصبهم المستعمر في مقامات إسلامية يستتر خلفهم، ويزينون له ما يريد، وأصحاب المصالح الذين باعوا أخراهم بعرض من الدنيا، فهؤلاء جميعاً ينشدون غرضاً، ويريدون تحقيق غاية .

فأوهمو العامة وأنصاف المتعلمين الذين لا يقرؤون ولا يتعمقون، وهم الغالبية العظمى في المجتمع الإسلامي ذلك الوقت، بأن هذه الدعوة الجديدة التي تحركت في الجزيرة العربية ماهي إلا إمتداد لتلك السابقة التي كانت في المغرب: فرقة الخوارج الأباضية التي تخالفكم معاصر المسلمين في المذهب والمعتقد .

ولكي تنطلي الحجة، ويمر التمويه لفقوا أقاويل على الشيخ محمد وأتباعه، أوضح رحمه الله، كذبها في رسائله العديدة، وعرف هذا علماء

المغرب في حوارهم عام ١٢٢٦هـ، عندما حج المولى أبو إسحاق إبراهيم بن السلطان المولى سليمان رحمه الله، ومعه مجموعة كبيرة من علماء المغرب لحوار الإمام سعود بن عبدالعزيز ومناقشته فيما نسب إليهم، وكان هذا بعد وفاة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بزمان .

وقد سجلت تواريخ المغرب عن هذه الحادثة ما يثبت البراءة لهذه الدعوة السلفية من كل مانسب إليها وقناعة علماء المغرب من سلامتها وصدقها، حتى إن الإمام إبراهيم هذا اقتنع بها^(١) .

وقد وجد هذا القول - أعني القدح في هذه الدعوة - صدى في نفوس راغبي الزعامة والتسلط باسم العلم والمعرفة، ولدى أصحاب الأهواء والمصالح الظاهرة أيضاً .

هذا من جانب ومن جانب آخر انطلت النسبة إلى عبد الوهاب - والد الشيخ محمد وهي نسبة غير صحيحة، لأنه لم يكن هو صاحب الدعوة . ولأنهم لو نسبوها للشيخ محمد لصارت محمدية، ولا يتحقق لهم ما أرادوا، لأن الدين الإسلامي كله يسمى الرسالة المحمدية، نسبة إلى النبي محمد ﷺ، الذي بلغها عن ربه .

والعامة لا تفرق بين هذا وذاك، ولذا حرصوا أن يكون للإسم المراد إطلاقه صدى في نفوس الجماهير الذين هم قاعدتهم في التمويه والتلبيس، وخلفية يموه بها على أنصاف المتعلمين .

(١) راجع سيرة المولى أبي إسحاق بن سليمان في تواريخ المغرب مثلاً: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ج ٨ ص ١٢٠-١٢٥ للناصري . والإعلام بمن حل مراكز وأغبات من الأعلام ج ١٠ ص ٦٨-٧٣ .

ظهر مثل هذا القول في تقارير وخطابات إبراهيم باشا التي كان يبعث بها لمحمد علي بمصر، وفي كتابات لبعض العثمانيين، حيث بدأ إطلاق الألقاب التالية: الوهابية، الخوارج، المارقين من الدين^(١) على دعوة الشيخ محمد والدولة السعودية من ذلك التاريخ .

هؤلاء في مظهر عام اتفقوا جميعاً في اتجاه واحد للتلبس على الناس في هذا الأمر، والناس بطبيعتهم يتخوفون من كل جديد، ويستنكرون ما جاء لمخالفة ماساروا عليه . وخير شاهد في هذا مانجده موضحاً في القرآن الكريم ، والسيرة النبوية العطرة من أمور كثيرة في موقف المعاندين للإسلام عندما جاء به محمد ﷺ من عند ربه داعياً ومنقذاً .

كما نلمس شاهداً حياً في عصرنا الحاضر، عندما بدأ الشباب الإسلامي يهتم بدينه، ويرجع لتعاليم ربه، فيما أطلق عليه : الصحوة الإسلامية فقد بدأت صحف الغرب والشرق ووسائل إعلامه وجهود مفكره، تشوه الصورة، وتنفر من الاتجاه وتصف هذا التحول الإسلامي بنعوت متعددة لكي يوجد حجاب يمنع المسيرة، ويقضي على الحماسة .

والعامة في كل عصر ومكان، وهم الجمل الغفير، يلجأون في مثل هذا الأمر إلى مصدر القوة لتوضح لهم الأمر، وتجلى الحقيقة، لكن هذا المصدر في ذلك الوقت من علماء وأرباب مصالح أرادوا قلب الحقائق، وتشويه

(١) راجع مثل هذه الوثائق: رسالة محمد علي يعتذر للأتراك فيها عن القيام بحرب ابن سعود ص ٣٥٣-٣٥٥ . ورسالة يوسف كبخ الخاصة بحرب آل سعود ص ٣٦٢-٣٧٠ ، وأمر تعيين يوسف ضباً باشا قائداً عاماً للعساكر بالحجاز ص ٣٨١-٣٨٢ ، والملحق رقم ٧ ص ٣٨٣-٣٨٤ . ورسالة إبراهيم باشا بعد حرب شقراء والتبشير بفتحها ص ٤٢٢-٤٤٤ وغير ذلك كثير . انظر كتاب الدولة السعودية للدكتور عبدالرحيم عبالرحمن عبدالرحيم في هذا وهو من مطبوعات جامعة الدول العربية ص ٣٤٩-٤٤٠ .

أصوات المستجيبين العارفين، وذلك بإطلاق الشبهة، واختلاق الآراء، التي تلقفها العامة بالنشر والإذاعة، من جانب، ومن جانب آخر بالاستجابة للنداء بالوقوف ضد هذا الاتجاه، الذي سموه للناس انشقاقاً في الدين، وخروجاً على جماعة المسلمين، وبدعاً أدخلت في الدين بينما واقع الأمر عكس ذلك .

وقد وجدت هذه الشبهة التي أطلقت، صدى في نفوس أرباب المصالح والجاه، لدى الباب العالي العثماني خوفاً على سمعة ومكانة الدولة ونفوذها بعد أن أثاروا حفيظة والددة أحد سلاطينهم على الإمام عبدالله بن سعود، بعد انتصاره على جيوشهم في وادي الصفراء بين المدينة وينبع .

وفي كثير من أقطار المسلمين بالتبعية، حيث روجها أناس يأكلون أموال الناس بالباطل، ويرضون بزعامات مؤقتة دينية، ويتسلطون بها على الجهال الذين لا يدركون حقيقة دينهم، ولأنوايا هؤلاء وماهم عليه، وهذا ما كان يخشاه رسول الله ﷺ من زلة العالم، والعلماء المضللين الذين يفتون بغير ما أنزل الله فيضلون ويضلون^(١) .

وقد ضرب هؤلاء جميعاً على الوتر الحساس في حياة الناس وهو الدين الذي تحتاجه النفوس وتتشوق إليه الأفئدة، ولكنها تجهله حقيقة، وتجهل المصادر التي يجب أن يؤخذ منها، فتتبع كل ما يقال لها فيه .

ومن هذه الجذور بدأوا في التعاون لتشويه الدعوة، التي كان من أهدافها توحيد كلمة المسلمين، ونبذ الخرافات، وتنوير الأذهان، وتوجيه النفوس إلى العلم، باعتباره مصدر الحقيقة، حيث بلغ الأمر بالناس في الدرعية، كما ذكر ابن غنام وابن بشر في تاريخهما رغبة عارمة في النهل من

(١) من حديث رواه البخاري ومسلم والترمذي عن عائشة وعروة .

العلم ، ثم العمل المتواصل لكسب المعيشة : فكان تلاميذ الشيخ يوزعون أوقاتهم بين العلم والعمل .

من بعد صلاة الفجر حتى ارتفاع الشمس للعلم ، ثم يتجهون لأعمالهم وفلايحهم حتى الظهر ليرتاحوا ويواصلوا العمل من العصر حتى المغرب ، وبعد المغرب إلى العشاء جلسات علم واهتمام بالبحث عن المعرفة في الحلقات والنقاش .

شبهات الخصوم :-

وهذا مما دفع أيضاً بعض الأشخاص ، ممن تعارضت مصلحته الدنيوية مع دعوة الشيخ إلى مخالفة الشيخ ومحاولة التشهير به كذباً وافتراء ، وأغلبهم من بني قومه ، فالصقوا بالشيخ ودعوته أشياء كثيرة طفق جاهداً في رسائله العديدة إلى التبرئ منها ، والدفاع عن سلامة المعتقد الذي ينادي به وأنه لم يخرج عن الكتاب والسنة ، وسوف يكون لنا مع بعض أولئك وقفة خاطفة ، ترشد طالب الحقيقة إلى بعض مواطن الداء .

وإن من يقرأ ماكتبه خصوم دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عنها من افتراءات وأكاذيب ، فإنه لاشك سيلمس أن جميع ماأورده من شبهات ، ومااختلفوه من مجادلات ، لأصل لها في أي مصنف مماكتبه رحمه الله ، بل إن رسائله العديدة التي ملأت سفراً كاملاً ، ورسائل وردود أولاده وأحفاده وتلاميذه من بعده وهي كثيرة وعديدة . كلها كانت تنفي تلك الأقاويل ، وتتبرأ منها بأيمان صادقة ، ومثل هذه : الرسائل والردود التي يجدها المتتبع لمسيرة هذه الدعوة ، والمنافحين عنها النافين للشبهات المطروحة من دون أصل ثابت ، منذ اقترانه بالعمل الجهادي السياسي وحتى اليوم .

إننا عندما نعود إلى أصل تلك الشبهات فإننا سنراها لا تخرج عن :

١ - شبهات ذات جذور في الفرق السابقة ألصقوها بالشيخ محمد بن عبد الوهاب ، مع أن له رأياً فيها هو رأي أهل السنة والجماعة ، حيث ينكر خروجها عن الصف الإسلامي ، كما أنكرها قبله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الشام ، والإمام الشاطبي في المغرب ، والعز بن عبد السلام في مصر سنة ٦٦٠ هـ .

٢ - وإما أشياء مختلقة ، لأساس لها من الصحة ، ولم ترد في أصل مانقل عن نصوص ومؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ولا في مؤلفات تلاميذه وأبنائه .

والمختلق لا حدود له ، وفيه تمويه على القارئ والسامع ، فقد أبانت رسائل الشيخ ضد هذا الشيء الكثير ، كما مر بنا في مقتطفات من أربع رسائل بعثها للآفاق^(١) البراءة من كل مانسب إليه ، وأنه محض افتراء لا أصل له عنده قولاً أو عقيدة ، خذ مثلاً قوله في إحدى رسائله لأهل القصيم وقد جاء فيها :

ثم لا يخفى عليكم أنه بلغني أن رسالة سليمان بن سحيم^(٢) قد وصلت إليكم ، وأنه قبلها وصدقها بعض المنتمين للعلم في جهتكم والله يعلم أن الرجل افتري علي أموراً لم أقلها ، ولم يأت أكثرها على بالي .

فمنها قوله : إني مبطل كتب المذاهب الأربعة ، وإني أقول إن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء ، وإني أدعي الاجتهاد ، وإني خارج عن التقليد ، وإني أقول إن اختلاف العلماء نقمة ، وإني أكفر من يتوسل بالصالحين ، وإني

(١) انظر ص ٧٥-٧٧ من هذا الكتاب وأصول هذه الرسائل في الهوامش .

(٢) واحد من أهل الرياض ناوأ الدعوة وخاصمها وصار يكتب في الآفاق يختلق ما لم يقله الشيخ .

أكفر البوصيري لقوله: يا أكرم الخلق، وإني أقول لو أقدر على هدم قبة رسول الله ﷺ لهدمتها، ولو أقدر على الكعبة لأخذت ميزابها وجعلت له ميزاباً من خشب، وإني أحرم زيارة قبر النبي ﷺ وإني أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهما، وإني أكفر من حلف بغير الله، وإني أكفر ابن الفارض وابن عربي، وإني أحرق دلائل الخيرات، وروض الرياحين وأسميه روض الشياطين، جوابي عن هذه المسائل أن أقول سبحانه هذا بهتان عظيم، وقبلة من بهت محمداً ﷺ أنه يسب عيسى بن مريم، ويسب الصالحين فتشابهت قلوبهم بافتراء الكذب وقول الزور^(١).

٣ - ويدخل في هاتين الحالتين ظهور عجز من جادلوا أتباع الشيخ وأفحموهم، ومن باب الرغبة في تغطية هذا العجز، بدأوا ينالون من الشيخ ودعوته، وهذا من باب التلبيس على الناس، ذلك أنهم لو قالوا الحقيقة التي دارت في النقاش، لانتهت مكانتهم ومصالحهم، ولذا لم يبق أمامهم إلا قلب الحقيقة، وتقويه النتيجة لأن ماجرى لم ينشر على الملأ.

٤ - وإما كلام مبتور من أصل كلامه رحمه الله، أو قول مؤول على غير معناه مثل من يقرأ «ويل للمصلين»، ويسكت عن إكمال الآية.

ويدخل في هذا قولهم: إن أتباع محمد بن عبد الوهاب ينكرون الصلاة على النبي ﷺ، وينكرون رسالته، مما لا يصدق عاقل متبصر.

ولا استبعد أن يكون جميع من كتب متهجماً على الشيخ محمد ودعوته: بأنه لم يقرأ واحداً من كتبه، سواء في التوحيد والعقيدة، أو الفقه والأحكام، أو التفسير والسيرة النبوية، بل إنه لم يناقش رأياً ماقال، وإنما حركتهم

(١) راجع هذه الرسالة كاملة في ج ٥ من مؤلفات الشيخ قسم الرسائل الشخصية ص ٨-١٣. وضمن ملحق هذا الكتاب ص.

المصالح الدنيوية، وأعماهم الهوى، حيث وجدوها فرصة عاجلة لأخذ عيوب الوهابية الرستمية، الخارجية الأباضية، التي قال فيها علماء الإسلام مآلوا، ودار حولها في المغرب نقاش طويل وردود ومجادلات، وتناولها علماء المغرب والأندلس في كتبهم بالردود والقدح كثيراً، لإلصاق تلك العيوب بالدعوة الجديدة بادئ ذي بدء .

وقد استغل الخصوم قرابة في الاسم، فطابقوا اللقب في الحالين وأطلقوا الأول على الثاني، وأعطوا دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب اصطلاحاً جديداً، هو اسم لجذور عميقة في نفوس المسلمين في شمال إفريقيا بصفة خاصة وهو «الوهابية أو الوهابية»، فوجدوا هذا ثوباً جاهزاً ألبسوه دعوة الشيخ محمد للتفسير منها، حيث أبرزوا عيوب السابقة وألصقوها بدعوة الشيخ محمد .

والمغاربة ممن شهد لهم التاريخ بدور إيجابي في الوقوف ضد الدعوات المناهضة لأهل السنة: مع عبد الوهاب بن رستم هذا، ثم مع الفاطميين العبيديين وغيرهم، ثم بمناهضة المستعمر في بلادهم والوقوف ضد مظامعه .

فألبس أعداء الإسلام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية ثوباً مستعاراً مشوهاً من باب التفسير خوفاً من عودة المسلمين إلى المنهج المحمدي وبساطته واستمالة لقلوب المسلمين، الذين ملوا الفرقة وأضناهم الخلاف، فيكون في ذلك سبب لاتفاق الكلمة، ونبد الخلافات التي ينفذ منها الأعداء .

لأسيما وأن صدوراً في العالم الإسلامي وخاصة في شمال إفريقيا قد انفتحت لهذه الدعوة واستجاب لها أصحابها لأنها بغية كل مسلم، كما مر بنا نماذج من ذلك .

فأقض ذلك مضاجع أصحاب المصالح، وأرباب الأهواء والبدع،
وتعاموا عن الحقيقة حيث بذلوا جهوداً مضنية لطمسها وإلهاء الناس عنها،
وعن تتبع مصادرها بحثاً واستقصاء .

ويتضح مثل ذلك في كتابة الباحثين الغربيين والمستشرقين، من
فرنسيين وإيطاليين وإنجليز وألمان عن الإسلام والمسلمين، في شمال أفريقيا
على وجه الخصوص، وفي كل مكان بوجه عام، وخاصة عند تعرضهم
لليقظة الفكرية الجديدة في تاريخ الإسلام، التي ترتبط دائماً ومن الدراسات
المنصفة، بقيام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بدعوته، وإمتدادها للعالم
الإسلامي، لأنها جاءت في وقت الظلمة والجهل .

ففي الوقت الذي بدأ المسلمون يعون حقيقة الدعوة السلفية التي
جدها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأعادت للمسلمين يقظة فكرية
عقدية في المنهج الإسلامي الصحيح، والعقيدة الصافية السليمة، لأنها لم
تخرج بالإسلام عن نقاوته الأولى، حيث سلك في هذا الدرب منحى
المصلحين في تاريخ الإسلام، المجددين لمنهج السلف الصالح كلما اندثر
كابن تيمية أحمد بن عبد الحليم المتوفى بالشام عام ٧٢٨هـ، وابن قيم
الجوزية المتوفى بدمشق عام ٧٥١هـ، والشاطبي المتوفى بغرناطة بالأندلس
عام ٧٩٠هـ، والعز بن عبد السلام المتوفى بمصر وغيرهم كثير من علماء
السلف .

كما تحدث عن ذلك كثير من العارفين والمفكرين العرب والمسلمين
وغيرهم . وقد أورد الأستاذ عبد الله بن سعد بن رويشد في كتابه الإمام محمد
بن عبد الوهاب في التاريخ : حدود أربعين رأياً تشيد بدعوة الشيخ محمد بن
عبد الوهاب، ودورها في تحريك اليقظة في نفوس المسلمين في كل مكان من
المعمورة^(١) .

(١) انظر كتابه هذا الجزء الثاني من ص ٣٠٠ إلى ٣٦٠ .

عودة . . لإثارة الشبهات :-

دهمت العالم عامة والمسلمين بصفة خاصة المباديء المنكرة من شيوعية ومأسونية ووجودية وعلمانية وإلحادية وغيرها، ولم يجد المسلمون مخرجاً يرضى لهم الطريق، ومنفذاً يهربون منه إلى بر الأمان، إلا بالإسلام الصافي النقي الخالص من الشوائب والدخائل .

ذلك أن أبناء المسلمين، قد جبلهم الله على حب الولاء، والاتجاه بالعقيدة إلى ما يوصل لله جل وعلا، وهذه فطرة الله التي فطر البشر عليها، وإن جذور الإسلام تجذبهم، وربطته تجمع بينهم، فتجاذب القلوب، لتتقارب النفوس، إلا أن جهات ذات أهداف متباينة، وأحقاد دفينية، تأتي مع بعدها عن العاطفة مع المسلمين، لتستغل ذوي العقول الضعيفة، والمآرب الوقتية، والبضاعة المزجاة من العلم والمعرفة فتتحدث باسم العلم، وتترغم باسم الغيرة والمعرفة وهذا ما كان يخشاه رسول الله ﷺ على أمته من العلماء المضللين الذين يلبسون الأمور على الناس .

ألمس هذا عند مابدأت كتب تطبع وتوزع بالمجان مجدداً في افريقيا وآسيا وأوروبا تعيد تلك الشبهات على المسلمين بعد أن كاد المسلمون ينسوا الماضي بأحقاده، ويتآلفون من جديد، على منهج كتاب الله وسنة نبيه الأمين ﷺ، بعد أن عصفت بهم الفتن، وأعمل الأعداء أيديهم في التخريب والإفساد. وذلك من أجل تنقية الدين من الشوائب الدخيلة، ذلك أن النصرانية الحاقدة، واليهودية الماكرة، قد حركتا الأعوان، لأنهما بدأتا تفلسان في ديار الغرب فضلاً عن ديار الإسلام، بعد أن تمرد عليهم أبناؤهم، وشعروا بخواء أفكار أرباب تلك الدعوات .

ثم عندما رأوا أبناء المسلمين يتجهون للإسلام الصحيح في نقاوته،

حسبما حدثني أحد الدعاة في أفريقيا، عن حرص الناس هناك وفي كل مكان، على تتبع تعاليم الإسلام من مصادرها الصحيحة النقية .

وكان مما حدثني به هذا الداعية : أن أحد علمائهم مال مع تلك الكتب، التي تطبع في دولة إسلامية، وتوزع بعدة لغات، وقد بدأ هذا الشيخ ينال من شخصية محمد بن عبد الوهاب ودعوته، ويصفها بنعوت عديدة، لتأثره بالكتب التي وصلتته، وألصقت بالدعوة الإصلاحية التي انتهجها الشيخ ومن جاء بعده، شبهاً وافتراءات .

فقال له الداعية : هل قرأت للشيخ محمد بن عبد الوهاب شيئاً من كتبه؟ قال : لا ويكفي ما قيل عنه . وكان هذا الداعية ذكياً، فأعطاه كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب، بعد أن نزع عنه غلافه . وقال : أحب أن تقرأ هذا الكتاب وتعطيني رأيك فيه غداً .

وفي موعد اللقاء : أثنى ذلك العالم على هذا الكتاب، وترحم على مؤلفه، لما حوى من علم مستمد من كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ، واتجاه رصين يحتاج إليه المسلمون في تصحيح معتقداتهم .

فما كان منه إلا أن أعطاه نسخة أخرى منه وعليها الغلاف .

وقال له : هذا هو الكتاب كاملاً، ومؤلفه هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب صاحب الدعوة الإصلاحية التجديدية السلفية كما ترى، وبقية كتبه من هذا النوع .

فما كان من ذلك العالم إلا أن قال : حسبنا الله ونعم الوكيل، لقد أتهم الشيخ بما ليس فيه، وما نقرؤه عنه يخالف مايقوله هو في مؤلفه هذا، إن هذا هو التوحيد الخالص، الذي جاء به محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، ودعانا إلى التمسك به .

ومنذ عشرات السنين ، حصلت قصة مماثلة في الهند فقد هدى الله عالماً من علماء الهند بتوفيق من الله ، ثم بمناظرة مع شخص يسمى البكري في قضية مماثلة .

هذه نظرة عامة يحسن بالمسلمين عموماً الانتباه إليها ، وألا يجعلوا الآخرين يفرضون عليهم رأياً بدون معرفة خفاياه ، فالرأي العلمي ، والحقيقة التي تتعلق بالعقيدة والدين ، يحسن بالمسلم العارف أن يبحث عنها وينقب بنفسه عن كل مايؤصلهما ويتوثق ويدقق حتى لا تنزل قدمه بعد ثبوتها ، ويترتب على ذلك خلاف في الصف الإسلامي ، لا يستفيد منه سوى العدو الذي يبذل الشيء الكثير من جهده وماله وفكره وأعوانه ، لبث الفرقة ، وتشتيت الشمل بين أبناء المسلمين ، لأن مصالحه ومنافعه في هذه الفرقة ، وسيطرته ونفوذه في بذر الخلافات .

وندعو الله أن يجمع كلمة المسلمين ، وأن يؤلف بين قلوبهم في آخر الزمان ، كما ألف بينهم في أوله عندما قال الله لنبيه محمد ﷺ :

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (١) .

واليهود والنصارى لن يرضوا عن المسلمين حتى يفسدوا عليهم دينهم ، ويجعلوهم في خلاف مستمر ، وتشاحن وتباغض ، كما أبان الله عنهم ذلك الشعور في محكم التنزيل عندما قال : ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ

وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾ (٢) .

ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها كما قال الإمام مالك رحمه الله . وأولها لم يصلح إلا بعقيدة الإسلام الصافية النقية ، وآخرها لن يصلح إلا بذلك .

(١) سورة الأنفال آية ٦٣ .

(٢) سورة البقرة آية ١٢٠ .

خصوم الدعوة من داخل المنطقة :-

جوهت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله أول ماجوهت من داخل المنطقة التي انطلقت منها، فوقف أمامها أناس ادعوا العلم، وكانت لهم مصالح سوف تتأثر من معرفة الناس للحقيقة التي حرص الشيخ على إبانيتها للناس مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

والهوى دائماً يعمي ويصم، كما أن للحسد دوراً في تلك المجابهة، كما يقول الشاعر العربي :

حسدوا الفتى إذ لم يكونوا مثله فالقوم أعداء له وخصوم
لقد بلغ من هؤلاء القوم أن انبروا لدعوة الشيخ بالجرح والكذب والافتراء... ثم لخوفهم الذي أقلق راحتهم بدأوا يبثون الرسائل يميناً وشمالاً من باب التنفير، والكيد. كما حصل من ابن سحيم وابن مويس وغيرهما من سوف نلم بذكرهم، والإشارة لانتشار رسائلهم التي كشفها الشيخ محمد نفسه في الرسائل التي يبعث بها للآفاق داعياً وموضحاً من جهة، ومزياً لما علق بالأذان من أكاذيب وافتراءات من جهة أخرى .

ولن ندخل في تلك المنافحات والمراسلات، ولكن يكفي أن نستشهد

بالآية الكريمة ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۖ ﴾ (١)

لقد ذهب القوم جميعاً الناقد والمنقود، والمفتري والمفتري عليه، وأثبتت الأيام صدق إخلاص الشيخ محمد رحمه الله، حيث بقي صدى الدعوة، بل ازداد، وحرص الناس في كل مكان على تتبع كتبه رحمه الله، ودراستها، كما عاد كثير من المناوئين إلى رشده بعدما استبان لهم سلامتها، وصدق هدف

(١) سورة الرعد آية ١٧ .

الداعية، لأن الحق أحق أن يتبع، أما أولئك المناوئون فقد ماتت أسماؤهم، ومات معها كل ما قالوه، ولا يكاد الناس يعرفون عن أغلبهم إن لم نقل كلهم إلا من فحوى رسائل الشيخ محمد رحمه الله .

هذا في الدنيا، وأما في الآخرة فالجزاء عند الله جلت قدرته، لأنه هو الذي يعلم السرائر، وما تخفي الصدور .

وقد اعتبر الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز — أمد الله في عمره — خصوم الشيخ ثلاثة أقسام:

١ — علماء مخرفون يرون الحق باطلاً والباطل حقاً، ويعتقدون أن البناء على القبور واتخاذ المساجد عليها ودعاءها من دون الله والاستغاثة بها وما أشبه ذلك دين وهدي، ويعتقدون أن من أنكر ذلك فقد أبغض الصالحين، وأبغض الأولياء وهو عدو يجب جهاده .

٢ — وقسم آخر من المنسوبين للعلم: جهلوا حقيقة هذا الرجل، ولم يعرفوا عنه الحق الذي دعا إليه بل، قلدوا غيرهم، وصدقوا ما قيل فيه من الخرافيين المضللين، وظنوا أنهم على هدى فيما نسبوه إليه من بعض الأولياء والأنبياء، ومن معاداتهم وإنكار كراماتهم، فذموا الشيخ، وعابوا دعوته ونفروا عنه .

٣ — وقسم آخر: خافوا على المناصب والراتب، فعادوه لئلا تمتد أيدي أنصار الدعوة الإسلامية إليهم فتنزلهم عن مراكزهم، وتستولي على بلادهم^(١) .

ومن أبرز خصوم الدعوة الذين صاروا يكتبون الآفاق، ويفترون على

(١) انظر الإمام محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته للشيخ ابن باز ص ٢٧-٢٨ .

الشيخ أشياء لم يقلها، ثم لما ضاق بهم المكان، وعرف الناس حقيقة دعوة الشيخ محمد واتبعوها لأنها دين الله الخالص، لم يسعهم إلا مغادرة الديار إلى أماكن أخرى ليواصلوا عملهم، ويجدوا لهم ميداناً أرحب يصلون ويجولون فيه، فموهوا على كثير من المسلمين، وأغتر بهم بعض العلماء هناك من دون روية أو تبصر.

ونذكر من أولئك بعض الأسماء باختصار:

١ — سليمان بن محمد بن سحيم الذي جاء ذكره في كثير من رسائل الشيخ بأنه يكتب للأمصار في النيل من الشيخ ومهاجمة دعوته، حيث يصور للناس برسائله أشياء لم تقع من الشيخ، وليس لها أصل، كان من علماء الرياض وبعد سقوط الرياض في يد الدولة السعودية الأولى غادر للأحساء ثم الزبير بالعراق وقد توفي هناك وفيها أولاده عام ١١٨١هـ^(١).

كما روي هذا العداء للدعوة من آل سحيم لعدة رجال وكلهم بيت علم ذلك الوقت في مدينة المجمع وفي الرياض، ولعل السر في هذا من حسد العلماء وغيرتهم، لأن الشيطان حريص بدخول المنافذ على الإنسان مهما كانت.

٢ — محمد بن عبدالله بن فيروز النجدي أصلاً الأحسائي مولداً، كان من العلماء الأعلام وقد اهتم به والي البصرة العثماني عبدالله أغا لما انتقل إليها وسكنها وبقي بها حتى آخر حياته عام ١٢١٦هـ، حيث دفن بالزبير، وقد خرج من الأحساء عندما أوشكت جيوش آل سعود أن تدخلها لأنه ناوأ

(١) انظر ترجمته عند ابن بسام في علماء نجد خلال ستة قرون ج ١ ص ٣٢٢ وتاريخ ابن غنام.

الدعوة منذ بدايتها، فوجد عند الوالي مايعينه على تحريض السلطان العثماني بالقضاء على الدعوة وقمعها^(١) وقد أيدته في هذا المسلك بعض تلاميذه ماعدا: محمد بن رشيد العفالقلي الذي هاجر للمدينة، فلما دخلها الإمام سعود بن عبدالعزيز أكرمه كعادته في إكرام العلماء وجعله على قضاء المدينة فأحب الدعوة السلفية وكان من دعائها، وظهرت جهوده في مصر بعد أن سكنها فأحبه الناس هناك وله دور كبير في تعريف الناس بالسلفية وتوفي بالقاهرة سنة ١٢٥٧هـ^(٢).

٣ - محمد بن عبدالرحمن بن عفالق، له مكانة علمية في الأحساء، يرتاده طلاب العلم، وقد توفي بالأحساء سنة ١١٦٣هـ، وقد أدرك أول دعوة الشيخ محمد - رحمه الله - فعادها وكتب إلى الشيخ رسالة يتحداه فيها بأن يبين له ماتحتوي عليه سورة العاديات من المجاز والاستعارة والكناية وغيرها من العلوم البلاغية، حيث صح في اعتقاده أن استحضار النكت البلاغية والاصطلاحات البيانية هي الوسيلة الوحيدة إلى تحقيق مايجب لله تعالى على عباده من معرفته ومعرفته توحيده وإخلاص العبادة له، كما قال الشيخ عبدالله بن بسام عند ترجمته لحياته^(٣).

٤ - عبدالله بن عيسى المويسي قاضي حرمة، الذي جاء ذكره في رسائل الشيخ كثيراً، فأخذ الشيخ محمد يحذر الناس منه. ويبين أعماله، وقد توفي ببلده عام ١١٧٥هـ^(٤) وذلك قبل انتشار الدعوة أو اتساع دائرتها في الجزيرة العربية.

(١) انظر ترجمته في علماء نجد لأبن بسام ج ٣ ص ٨٨٢-٨٨٦، ورسالته في محاربة الدعوة في تاريخ ابن غنام وابن بشر.

(٢) انظر مشاهير علماء نجد لعبدالرحمن آل الشيخ ص ٢٢٨ ويسمى أحمد.

(٣) انظر علماء نجد خلال ستة قرون ج ٣ ص ٨٢٠.

(٤) نفس المصدر ج ٢ ص ٦٠٤.

٥ — عثمان بن عبدالعزيز بن منصور الذي درس في العراق ومن أشهر مشايخه داود بن جرجيس، ومحمد بن سلوم الفرضي، وهما من أشد خصوم الدعوة، وبين ابن جرجيس وعلماء نجد ردود ومنافرات حول هذه الدعوة، قال ابن بسام في ترجمته: والمترجم له متردد في اتجاهه العقدي فمرة يوالي الدعوة السلفية، وينتسب إليها، وأخرى يبتعد عنها ويوالي أعداءها، ولذا فإنه لما وصل نجداً داود بن جرجيس الذي أخذ يقرر استحباب التوسل بالصالحين من الأموات والاستعانة بهم ونحو ذلك مما يخالف صافي العقيدة ناصره، وصار يثني عليه. ويمدح طريقته، وقرط كتابه وأثنى على نهجه بقصيدة بلغت ستة وثلاثين بيتاً، وقد رد عليه بقصائد مماثلة بالوزن والقافية أكثر من سبعة علماء من نجد^(١).

٦ — محمد بن عبدالله بن حميد المولود في عنيزة سنة ١٢٣٢هـ، ومفتي الحنابلة في مكة إلى أن توفي بالطائف سنة ١٢٩٥هـ، ذكر ابن بسام في ترجمته حياته قائلاً: إن المترجم له بحكم وظيفته تبع الدولة العثمانية — مفتي الحنابلة بالحرم المكي — التي حاربت العقيدة السلفية وبحكم وجود المترجم له بعد النكبة التي أصابت الدعوة السلفية في بلادها فقصت عليها، وكثرت أعداءها والموالين لأضدادها وبحكم قراءته خارج نجد على علماء نذروا أنفسهم لمحاربة هذه الدعوة فإن هذه المؤثرات طبعته بطابعها الخاص، وجعلت منه خصماً لها وحليفاً لأعدائها^(٢).

٧ — مرشد بن أحمد التميمي الذي ناوأ الدعوة ثم سافر إلى اليمن سنة ١١٧٠هـ، وبدأ يبث التشويه لسمعة الدعوة ودعاتها والقائمين عليها وبقي هناك حوالي عشرة أشهر وفارقهم إلى الحجاز مع الحجاج.

(١) انظر متابع علماء نجد في ستة قرون ج ٣ ص ٦٩٦.

(٢) انظر علماء نجد في ستة قرون ج ٣ ص ٨٦٥-٨٦٦. وانظر مخطوطة ابن حميد (السحب الوابلة على ضرائع الحنابلة) حيث ضرب صفحاً عن علماء الدعوة وناصر خصومها.

وقد قال عنه ابن بسام عند ترجمته : والقصد ان هذا الرجل وأمثاله ممن ناوأوا الدعوة الإصلاحية ، هم الذين شوهوا سمعتها وألصقوا بها الأكاذيب وزوروا عليها الدعاية الباطلة ، حتى اغتر بهم من لا يعرف حقيقتها ولا يخبر حالها ، فرميت بالعداء عن قوس واحد ، إما من الحاسدين الحاقدين وإما من المغرورين المخدوعين وإما من أعداء الإصلاح والدين ، حتى غزتها الجيوش العثمانية في عقر دارها فأوقفت سيرها ، وشلت نشاطها بالقضاء على دعائها ، وإبادة القائمين عليها من ملوك الحكومة السعودية الأولى ، ورجال العلم من أبناء الشيخ محمد وأحفاده ، حتى إذا شاء الله تعالى انبعاثها مرة أخرى ، هياً الله لها البطل المغوار الإمام تركي بن عبدالله ، الذي قاوم الجيوش التركية حتى طهر البلاد منها^(١) ولا تزال بحمد الله في طريق آمن وممهد ، ومن أثرها الأمن الذي تنعم به البلاد في ظل تطبيق الشريعة الإسلامية السمحة .

وقال في نهاية ترجمته إنه عاد من الحجاز إلى بلده حريملاء ، ولكن الإمام محمد بن سعود تغلب عليها فهرب منها ، فلما وصل بلدة رغبة أمسكه أميرها علي الجريسي وقتله وذلك في عام ١١٧١ هـ^(٢) .

٨ - وهناك علماء آخرون لم يعرف عنهم التحدي للدعوة لكنهم يميلون مع خصومها في البلاد التي انتقلوا إليها أمثال : محمد بن علي بن سلوم الفرضي الذي انتقل من سدير إلى الزبير بالعراق متعاطفاً مع شيخه محمد بن فيروز ، حيث توفي بالعراق هو وابناه عبدالرزاق وعبد اللطيف اللذان أصبحا من أعلام علماء سوق الشيوخ والبصرة في وقتها .

وإبراهيم بن يوسف الذي تعلم في دمشق وسكنها ، وكان له حلقة علم في الجامع الأموي وقتل في ظروف غامضة هناك عام ١١٨٧ هـ .

(١) انظر كتابه علماء نجد في ستة قرون ج ٣ ص ٩٤٩ .

(٢) نفس المصدر ص ٩٥٠ .

وراشد بن خنين الذي انتقل من الخرج إلى الأحساء ومات هناك بغير عقب^(١) .

وغيرهم ممن جاء ذكرهم في رسائل الشيخ كابن إسماعيل وابن ربيعة، وابن مطلق، وابن عبداللطيف، وصالح بن عبدالله وغيرهم، وقد بلغ ما جمع من رسائله التي توضح دعوته رحمه الله والرد على ما قيل نحوها من افتراءات واحد وخمسون رسالة، طبعت في ٣٢٣ صفحة ضمن مجلد واحد، وهي ذات فائدة كبيرة لمن يريد التحقق عن كذب عن كنه الشيخ ودعوته . ولا ريب أن كثيراً ممن ناوأها عندما استبان له الحقيقة رجع عن رأيه السابق، لأن الحق أحق أن يتبع .

الهدف من التسمية :-

لئن كان مسعود الندوي - رحمه الله - في كتابه (محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفتري عليه) قد قال : إن من أبرز الأكاذيب على دعوة شيخ الإسلام تسميتها بالوهابية، ولكن أصحاب المطامع حاولوا من هذه التسمية أن يثبتوا أنها دين خارج عن الإسلام، واتحد الانجليز والأتراك والمصريون فجعلوها شبحاً مخيفاً، بحيث كلما قامت أي حركة إسلامية في العالم الإسلامي في القرنين الماضيين، ورأى الأوروبيون فيها خطراً على مصالحهم، ربطوا حبالها بالوهابية النجدية وإن ناقضتها^(٢) .

فإن الشيخ أحمد بن حجر قاضي المحكمة الشرعية الأولى بقطر قد ربط افتراءات بعض المتكلمين الحنابلة السابقين، بالافتراء على الشيخ محمد،

(١) في تراجم هؤلاء انظر السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة لابن حميد وعلماء نجد في ستة قرون لابن بسام، روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين لمحمد بن عثمان القاضي .

(٢) انظر كتابه هذا ترجمة عبدالعليم البستوي مراجعة وتقديم الدكتور محمد تقي الدين الهلالي ص ١٦٥ .

لأن المخالفين لا ينقصون من قدر الآخرين إلا بالافتراء عليهم ، وكذلك المستعمر لا يجد طريقاً في القضاء على الحركات الإسلامية إلا بمثل هذا الأسلوب .

وكان مقالته الشيخ أحمد في كتابه : (نقض كلام المفترين الخنايلة السلفيين) : « ونسبوا إلى الشيخ وإلى أتباعه أنهم لا يجعلون للرسول ﷺ حرمة بل يقول أحدهم عصاي خير من الرسول . ولا يرون للعلماء والصالحين مقاماً ، وينكرون شفاعة الرسول ﷺ ، ويحرمون زيارة قبره ، وقبور سائر المؤمنين ، ولا يرون الصلاة على الرسول ﷺ ، ولا يعتنون بكتب الأئمة ، بل يحرقونها ويتلفونها ولا يرون تقليدهم جائزاً ، ويكفرون المسلمين من قرون عديدة سوى من كان على معتقدهم ، ويحرمون قراءة المولد النبوي »^(١) . إلى غير ذلك من المزاعم .

والجواب أن هذه الأشياء المنسوبة إليهم كلها كذب لانصيب لها من الصحة أبداً ، وهذه كتبهم مطبوعة تباع وتوزع ، فمن أراد أن يعرف كذب هذه المزاعم فليقرأ كتبهم^(٢) .

ومن هنا ندرك السر في الإصرار على لقب الوهابية ، وإشاعة أنهم مذهب خامس لأن علماء المغرب قد اکتتوا بنار الوهابية الرستمية الخارجية الأباضية ، التي قامت هناك وأسسها عبدالوهاب بن عبدالرحمن بن رستم في آخر القرن الثاني وبداية القرن الثالث الهجري ولديهم فتاوى حولها ، ومذهب أهلها كما أوضحنا من قبل .

فهي ثوب جاهز ماعلى أعداء الدعوة إلا خلعه على هذه الدعوة الجديدة

(١) من المعلوم أن إقامة المولد النبوي وقراءة المولد على مايفعله البعض تقريباً وتعبداً بدعة ، يراجع القول الفصل في مولد خير الرسل ﷺ للشيخ اسماعيل الانصاري .

(٢) انظر كتابه هذا ص ٥٨٠-٥٧ إلى ص ١٠١ حيث يرد على تلك الشبه .

من باب التنفير، واختصار الطريق، لأنه لا يخدم المستعمر في ديار الإسلام إلا أصحاب البدع والخرافات .

أما العلماء من أصحاب المصالح فتمسكوا بما قيل من افتراءات، وألصق من شبهات رغم أن الحوار والنقاش ينفي تلك التهم وأنها لا أساس لها من الصحة، ويتبرأون منها. وما ذلك إلا أن الهوى يعمي ويصم . ولكي يؤكدوا صحة ماوضعوا من شبهات استغل أعداء الدعوة ما صار بين الشيخ محمد وأخيه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب من خلاف باديء الأمر حيث عارضه سليمان شأنه شأن طلبة العلم في منطقة نجد وخارجها، عدم الاستجابة إلا بعد معرفة الحقيقة، فإذا استبان الرشد رجعوا للحق مدعين .

والشيخ سليمان أيضاً ممن اقتنع بحقيقة الدرب الذي سار فيه أخوه، وسلامة المقصد. فصار من مؤيديه بعد ذلك .

نقول استغل الخصوم ذلك فآلفوا رسالتين نسبتا إلى سليمان هذا هما : (الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية) و (فصل الخطاب في الرد على محمد بن عبد الوهاب) .

بينما المتتبعون للأمر ينفون ذلك عن سليمان، وإنما قصد إلصاقها بسليمان لزيادة التنفير بأن أخاه سليمان وهو أقرب الناس أنكر عليه . بينما واقع الحال أنه تابعه ووفد إليه معتذراً في الدرعية .

وكدليل آخر على كذب هذه المؤلفات، وعدم صحة نسبتها لسليمان، أن لقب الوهابية، لم تتفق عنه الحيلة إلا مع الحملات التركية المصرية بقيادة إبراهيم باشا على نجد، وبعد موت الشيخ محمد بأكثر من عشرين سنة، وبعد موت سليمان أيضاً. بدليل أن «ني بور» المعاصر الأوروبي للشيخ محمد لم يستعمل اصطلاح الوهابية أصلاً وقال مسعود الندوي عنه: ويظهر من

هذا أن اصطلاح الوهابية لم يكن معروفاً إلى ذلك الوقت، ولكنه يسمى دعوة الشيخ بدين جديد (New Religion) مع أنه في النهاية يعبر عن مذهب محمد ابن عبد الوهاب الجديد بالمحمدية. وأن أول ذكر للوهابية جاء عند (برك هارت) الذي جاء الحجاز بعد استيلاء محمد علي في سنة ١٢٢٩ هـ، كما جاء ذلك عند الجبرتي في تاريخه^(١).

وكما جاء أيضاً في رحلة سادلير التي مرّ بنا ذكرها .

وقرينة ثالثة فلو كان سليمان بن عبد الوهاب ممن رد على أخيه وناوأ الدعوة، فإن اسمه سوف يتكرر في الردود، وسيأتي له ذكر أسوة بأسماء من ناوأها ولولفترة، حيث الجدل والنقاش مستمر، وإنما هو ثوب ألبس لسليمان هذا ولم يكن له، كما ألبست الدعوة اصطلاحاً لا يربطها به صلة، لتنافر مابين دعوة الشيخ محمد والوهابية الرسمية الخارجية، من حيث المعتقد والمحتوى، والمكان والطريقة وطريقة الاستشهاد بالدليل الشرعي، ولذا لم يرد له ذكر في ذلك مما يدل على براءته من ذلك .

فالوهابية الرسمية تخالف معتقد أهل السنة والجماعة، كما هو معروف عنهم من الدارسين لحالهم، بينما الشيخ، كما يقول بنفسه في رسائله وتشهد به جميع كتبه، وكتب أبنائه وتلاميذه: متبع وليس بمبتدع، يسير وفق مذهب أهل السنة والجماعة، ويدعم رأيه بالدليل الصحيح من كتاب الله الكريم، وسنة رسوله المصطفى ﷺ، وما انتهجته السلف الصالح من القرون الماضية، كما هو واضح القياس في جميع كتبه ورسائله .

وقرينة رابعة: فإن مخالفة سليمان بن عبد الوهاب لأخيه كانت في بداية أمر الشيخ محمد، ووقتها لم تتعد الردود الكلام الشفوي والمراسلات

(١) راجع كتاب الندوي محمد بن عبد الوهاب ص ١٦٧-١٦٨ .

الصغيرة، وابن غنام ممن رصد ذلك بتاريخه وقد عاصرها سوياً وتوفي بعدهما بزمان، ولم يذكر من ذلك شيئاً رغم أنه ذكر المخالفين للشيخ. هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن كلمة الوهابية نسبة لوالدهما سوياً، ولا يمكن أن يكون لسليمان الابتداع في إطلاقها لأنه لم يرد على والده من جهة، ومن أخرى فإنه يدرك أن النسبة خطأ، لأنها من نسبة الشيء إلى غير أصله، فلا يمكن أن تقول للمكي إنه مدني ولاللمغربي إنه هندي، وإن أطلقت تجاوزاً فهما يشتركان فيها، الراد والمردود عليه.

وهذه لاتنطلي على سليمان بن عبد الوهاب إذا كان هو صاحب الرد حقيقة.

وقرينة خامسة: أن الكاتبين عن الدعوة في وقتها حيث لفتت الأنظار من الغربيين وغيرهم مثل «ني بور» ممن عاصرها الذي وصل إلى الأحساء، فقد كان يسميها المحمدية نسبة إلى محمد ابن عبد الوهاب وتارة يسميها الدعوة الجديدة. وهذان الاسمان لا يحققان الغرض المقصود باستشارة العامة «وبرك هارت» الذي وصل الحجاز عام ١٢٢٩هـ، وقابل محمد علي وأثنى على هذه الدعوة ومكانتها العقدية وسلامتها من الشوائب، وانتقد من يخالفها فيما رصده برحلته. مما يبرهن على أن الحيلة قد تفتقت عن اسم يراد به الإثارة. ويعطي شرعية على تحريك الجيوش، وتجريد الحملات ضد هذه الدعوة بمثل هذا اللقب الجديد الذي لابد أن يكون له جذور تستولي على المشاعر، وإثارة الحماسة.

ولذا سبقت هذه التسمية الحملات من أجل إرهاب الناس بالضرائب ودعوتهم للبذل والإنفاق كما ذكر الجبرقي في تاريخه من أقاويل عنهم، بوجوب قتال الخوارج، وبأن الوهابية الأباضية الخارجية، قد عادت للظهور فيجب بذل المستطاع لمحاربتها.

وهذا من أهم بواعث نفوذ الغبار عن ذلك اللقب الكامن في سجلات التاريخ، ولذا فإنه قد كذب على سليمان بن عبد الوهاب تأليف هاتين الرسالتين بعد موته بزمان، كما زيفت في الوقت الحاضر مذكرات (همفر) الذي قيل عنه بأنه جاسوس بريطاني، وعن علاقته بالشيخ محمد بن عبد الوهاب، حيث لم يعرف لذلك أصل، ولم يسمع بهذا الشخص من قبل .

وهذا من الإدعاءات التي لا برهان عليها، أو دليل يؤيدها . . والكذب لا حدود له .

وأعداء الإسلام يهتمون بإثارة مثل هذا لما فيه من بلبلة للأفكار، وتحريك للفتن، ونزع للثقة من كل داعية مخلص .

وصحافة اليوم دليل قاطع على هذا المنهج في الإثارة وكثرة الافتراءات على كثير من الدول، لأن منهجها يخالف الآخرين .

ذلك أن الدين الحق الصافي من الشوائب، كلما برز وبدأ الناس يميلون إليه لما فيه من تخليص للنفوس والمجتمعات من السليبيات التي تدخل على دين الإسلام وهو منها براء، ينزعج أعداء الإسلام من ذلك العمل الذي يؤلف القلوب، فيحركون أعوانهم لمباعدة هذا الاقتراب، كما تحس هذا عندما قام الفلسطينيون بانتفاضتهم بالحجارة والهتافات . . فقد انزعج اليهود من الدعوة للجهاد، التي هتف بها الأطفال، ومن ترددهم لكلمة: الله أكبر، وأشاعوا في العالم بوسائل إعلامهم أن التمرد شيوعي . ليصرفوا النظر عن الاتجاه الإسلامي الذي خشاه اليهود . . فما أشبه الليلة بالبارحة .

والأمثال في ذلك كثيرة في كل مكان وزمان: فهذا الوتري المولود بالمدينة عام ١٢٦١هـ، والذي رأى الأستاذ أحمد العماري الذي حقق رسالته في

محاكمة السلفية الوهابية بالمغرب في تساؤلاته حول هذه الرسالة بما نصه : ألا يكون الوتري أراد من مرافقته هاته ومحاكمته متابعة السلفية الوهابية بالمغرب كما تابعها بالمشرق حسب الإشارات التي وردت عنده بالرسالة؟ لماذا يتحيز للسلطان التركي وللوالي على مصر ضد محمد بن عبد الوهاب فهل هو تزمت شديد للطرقية على حساب السلفية، أو توجد خلفيات أخرى وراء التحامل؟ نحاول أن نجيب على هذه الأسئلة من خلال عرض الأسباب التي جعلت الوتري يكتب رسالته^(١).

إذاً فكل من كتب كان لسبب دفعه، وهدف وجه إليه .

فقد تأثر أمثال الوتري بإهتمام أهل المغرب بالدعوة السلفية بعد أن وصلت رسالة الإمام سعود بن عبدالعزيز في عام ١٢٢٥هـ، حيث عهد المولى سليمان العلوي للأديب السيد حمدون بن الحاج الفاسي الإجابة عليها، وقد أرفق بالجواب قصيدة مدح فيها ابن سعود، وقد أكد أبو عبد الله محمد الكنسوس أن حمدون بن الحاج أجاب ابن سعود ومدحه بأمر من السلطان سليمان، وبرهن على ذلك بأمر مقنعة . ثم ذكر المحقق بعضاً من هذه الميمية في مدح سعود ومنها :-

إن قمت فينا بأمر لم يقم أحد
به فجوزيت مايجزاه ذو نعم
بقطع أهل الحروب بالحجاز بأن
يقتلوا أو يصلبوا بلاوهم
أو أن تقطع أيديهم وأرجلهم
عن الخلاف أو أن ينفوا من أرضهم

(١) انظر ص ٤ من هذا التحقيق بمجلة كلية الآداب بفاس شعبة التاريخ عدد خاص سنة ١٤٠٦هـ عام ١٩٨٥م ويقع هذا التحقيق في ٤٦ صفحة، وقد دافع المحقق بإنصاف عن السلفية في المغرب .

حتى جرى الماء في بلاد الحجاز بأن
طلعت سعد سعود غير ملتثم
لاشيء يمنع من حج ومعتمر
وزورة يكمل المأمول من حرم
إذ عاد درب الحجاز اليوم سالكه
أهنا وآمن من حمامة الحرم
مذلاح فيه سعود ماحياً بدعاً
قد أحدثتها ملوك العرب والعجم^(١) .

من نتائج الخصومة :-

لقد كانت العينة التي ارتبطت باسم الشيخ محمد، وتحركت منها دعوته الأولى، قلعة علمية يرتادها طلاب العلم، ورواد المعرفة، ويجاورها من الشرق بلدة صغيرة اسمها الجبيلة، وقد التصقتا الآن في مدينة واحدة^(٢) .
وبالجبيلة كانت توجد قبور الصحابة رضوان الله عليهم، الذين قتلوا في حروب الردة حيث قرب المكان من مواقع معارك اليمامة التي أعز الله فيها دينه بقتل مسيلمة الكذاب . ومع الجهل وطول الزمن، وضعف العقيدة في النفوس، اتخذ الناس عليهم المباني، ونصبت القباب، على قبر زيد بن الخطاب وبقية الصحابة . فصارت النذور تقدم لهم، والقرايين تدفع عندهم، وقصدهم الناس من دون الله .

والذي يرجع لمبدأ البناء على القبور في العالم الإسلامي يراه مرتبطاً بقيام دولة القرامطة في الجزيرة العربية، والفاطميين في المغرب ثم في مصر .

(١) نفس المصدر السابق ص ١٢ . ويلاحظ ان بعض الآيات لم يستقم وزنها .

(٢) تبعد عن الرياض ٤٠ كم من الجهة الشمالية الغربية .

ولكن العلماء لا يحركون ساكناً، لأن جوهر العقيدة وهو المحرك لذلك قد ضعف، بل بلغ الأمر إلى أن الجهة التي لا يوجد فيها أولياء يبنى على قبورهم، كان الناس يبحثون عن شيء يتعلقون به كالشجر والحجر والمغارات وغيرها .

ومن يدرك من العلماء ضرر ماوقع فيه الناس من خلل، وبعد عن العقيدة الصافية فإنه تنقصه الشجاعة في إظهار الأمر، ولا يستطيع الجهر خوفاً من العامة، التي تدعمها السلطة .

لكن الشيخ محمد رحمه الله أدرك هذا وهو لا يزال طالباً. إذ بدأ ينمي الشجاعة في نفسه، ويوطنها على التحمل، في سن مبكرة ويبين ما يجب إيضاحه كلما عرض له مناسبة في مثل هذه المواقف .

١ — عندما كان يدرس في العيينة، كان أحد أساتذته إذا أراد بدء درسه همهم بدعاء يستعين فيه بزيد بن الخطاب ويطلب منه المدد، فكان محمد يرد بصوت خفيف لا يسمعه غير هذا الأستاذ لينبهه : الله أقدر من زيد .

ومع الزمن ترك الأستاذ تلك العادة، ثم استدعاه ونصحه بالرفق فيما هو مقبل عليه، مع الحلم في دعوة الناس، لأن تغيير مألّفه الناس وإن كان باطلاً يحتاج إلى علم مقرون بحلم وشجاعة .

٢ — وعندما كان يطلب العلم في مكة، كان يجلس في حلقة أحد المشايخ الذي أعجب به وبذكائه، وكان هذا الشيخ إذا قام من كرسيه بعد انتهاء الدرس يقول: يا كعبة الله . فأراد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله أن يلفت نظر الشيخ وبرفق لهذا الخطأ العقدي . فجاء إليه يوماً مبكراً وقبل وصول الطلاب، وقال له : أريد أن أقرأ عليك شيئاً من حفظي في القرآن، فرحب الشيخ بذلك . فقرأ عليه سورة قريش فلما وصل إلى الآية :

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ قرأها فليعبدوا هذا البيت، فرد عليه الشيخ

الخطأ وصحح له، ولكنه أعادها ثلاثاً بنفس الخطأ. فقال له الشيخ: أنت ذكي، فلماذا كررت الخطأ وهذا لا يصح لأن العبادة لله، لا للبيت. فقال: يا شيخ معذرة فقد تأثرت بك. فقال: عجيب وماذا قلت؟ فأخبره بما يقول كلما قام. قال الشيخ هذا خطأ وقد قلدت غيري فيه من دون رؤيـة واستغفر الله من ذلك. وأبطل هذه العادة. ثم قال له: سيكون لك شأن ولكن عليك بالتحمل والصبر.

٣ - أما في الزبير بالعراق فقد آذوه وطردهـ لأنه أنكر عليهم التمسح والتوسل بقبر الزبير بن العوام الذي سميت البلدة باسمه .

٤ - وعندما كان يدرس تلاميذه في الدرعية التوحيد، وأيقن أنهم قد أدركوا ذلك أراد اختبارهم، وكان درسه بعد صلاة الفجر، فقال في أول الدرس لطلابه، لقد سمعت ضجة ليلة البارحة في أحد أحياء المدينة، وصياحاً، فماذا ترون قد حصل؟ فاهتم التلاميذ بالمساهمة والحماسة، إذ لعله سارق، أو مجرم، أو شخص يتعدى على أعراض الناس .

وفي اليوم التالي: سأهم هل عرفتـ الأمر وماذا ترون جزاءه. فقالوا: لم نعرف ولكن يجب أن يجازى بأقصى العقوبات الرادعة .

فقال الشيخ محمد مهوناً الأمر أمامهم ليعرف نتائجـه في نفوسهم: أما أنا فقد عرفت: ذلك ان امرأة نذرت أن تذبح ديكاً أسود للجن، إن عوفي ابنها من مرض ألم به، وقد عوفي فتعاونت مع زوجها على ذبح الديك، فهرب منهم وصاروا يلاحقونه من سطوح المنازل، حتى أمسكوه وذبحوه بدون تسمية للجن، كما أخبرها بذلك أحد المتعاطين للسحر .

فهدأت ثائرة الطلاب . فلما رأى هذا منهم . قال : إنكم لم تعرفوا التوحيد الذي درستهم . لما كانت المسألة جريمة يعاقب عليها الشرع بالحد الموضح نوعه في كتب الفقه أهمكم الأمر ، وتحمستم له ، ولما أصبح الموضوع يتعلق بالعقيدة هدأتم بينما الأول معصية ، أما الثاني فشرك ، والشرك يقول الله فيه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ (١) .

إذاً سنعيد دراسة التوحيد من جديد ، ثم جاءت فكرة إعداد كتاب التوحيد وتقريره على طلابه من تلك الحادثة .

لقد نتج عن دعوة الشيخ أمور منها :-

بالنسبة لمن يريد أن يسترشد فإنه قد كتب بعضهم للشيخ مستوضحاً عما وصله من أخبار الشيخ ومستجلياً للإجابة عن الشبهات التي نسبت للشيخ ، ووصل إليهم علمها .

ورسائل الشيخ التي أشرنا إليها من قبل تنبىء عن ذلك ، ولذا فإن من فطنة الشيخ أن يخبرهم بأسماء من أشاعها من طلبة العلم في زمانه . ويوضح لهم مايجب عليهم .

أما العلماء الذين يريدون الوصول للحقيقة فكانت كتاباتهم للشيخ تتسم بعمق النظرة وتركيز السؤال ، حيث يحكمون على الشيخ من إجابته المدعومة بالدليل الشرعي نقلاً من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، أو عقلاً بما هو مدرك ومحسوس . وهؤلاء في الغالب الأعم ، عندما يتبين لهم الحق يتبعونه ويركنون إليه ، وتعتبر رسائله بمثابة التعليم لهم والإرشاد كما في رسالته إلى

(١) سورة النساء آية ٤٨ .

محمد بن عید من مطاوعة ثرمداء^(١) ورسالته إلى البکيلي في اليمن^(٢).
ورسائله إلى عبدالله بن سحيم مطوع المجمعة^(٣) وغيرها .

أما الحکام الذين هدفهم حقيقة الدفاع عن دين الله، ورد الشبهات التي تثار حوله فإنهم يتخذون المناظرة طريقاً للوصول للهدف، ولا يجري المناظرة إلا من لديه استعداد بالرجوع للحق إذا استبان له، كما حصل لهذه الدعوة مع علماء مكة التي جرت على إثرها مناظرة بين علماء مكة وعلماء من الدرعية منهم الشيخ محمد بن معمر، والشيخ عبدالعزيز الحصين . وقد كانت النتيجة قناعة علماء مكة بسلامة منهج هذه الدعوة، وصحة الخط الذي تسير فيه^(٤) ومع ملوك المغرب، فقد كتب الشيخ محمد رسالة لأهل المغرب^(٥)، ثم رسالة أخرى قال عنها أبو العباس الناصري، في كتابه التاريخي : (الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى) : وفي هذه المدة أيضاً وصل كتاب عبدالله بن سعود الوهابي النابغ بجزيرة العرب، المتغلب على الحرمين الشريفين المظهر لمذهبه فيها إلى فاس المحروسة بكتاب، لأن ابن سعود لما استولى على الحرمين بعث كتبه إلى الآفاق كالعراق والشام ومصر والمغرب يدعو الناس إلى اتباع مذهبه والتمسك بدعوته . ثم شكك المؤلف هل الرسالة أصلها لتونس حيث بعث مفتيها نسخة إلى فاس . أم أنها موجهة

(١) هي الرسالة الثالثة من رسائله ص ٢٤-٣٠، وأيضاً الرسالة الثانية من رسائله ص ١٦-٢١ .

(٢) هي الرسالة الرابعة عشر من رسائله ص ٩٤-٩٨ .

(٣) انظر مثلاً الرسالة ١١ ص ٦٢-٧٦، والرسالة ٢٠ ص ١٣٠-١٤١ .

(٤) راجع كتاب البيان المفيد فيما اتفق عليه علماء مكة ونجد من عقائد التوحيد الطبعة الأولى سنة ١٢٤٤ هـ .

(٥) هي الرسالة ١٧ من رسائله ص ١١٠-١١٥ .

للسلطان المولى سليمان العلوي بالقصد، إلا أن نسخة منه وردت بواسطة علماء تونس^(١).

ومن باب الإيضاح: فإن هذه الرسالة قد بعثها الإمام سعود بن عبدالعزيز بعد أن استولى على المدينة في عام ١٢٢٠هـ، لأن الشيخ محمد قد توفي في عام ١٢٠٦هـ.

وقد وجدت نسخة من هذه الرسالة منشورة باللغة العربية في صحيفة (اسلاميك) الألمانية ISLAMIGA العدد الأول المجلد السابع الصادر في عام ١٩٣٥م، ضمن مقال مطول باللغة الألمانية لأحد المستشرقين عن الوهابية بالمغرب.

وهذه الرسالة لشرح حقيقة التوحيد، وماتنطوي عليه دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتقع في ثلاث صفحات^(٢).

ولقد كان لهذه الرسالة صدى لدى حكام المغرب العلويين الذين قامت دولتهم لمحاربة النصارى والنهوض بالمغرب الأقصى منذ عام ١٦٣١م الموافق لعام ١٠٤١هـ^(٣).

ففي عام ١٢٢٦هـ، — يقول الناصري: — وجه السلطان المولى سليمان رحمه الله ولده الأستاذ الأفضل المولى أبا إسحاق إبراهيم بن سليمان إلى الحجاز لأداء فريضة الحج مع الركب النبوي الذي جرت العادة بخروجه

(١) انظر الاستقصا ٨ ص ١١٩-١٢٠.

(٢) انظر تلك المجلة، حيث علق المستشرق على هذه الرسالة مشوهاً الدعوة بخلاف ما فيها من وضوح وأدلة.

(٣) راجع كتاب المغرب الكبير للدكتور جلال يحيى ج ٣ ص ٦٥-٦٦ ويرى صاحب الاستقصاء أنه عام ١٠٤٥ ج ٧ ص ١٥.

من فاس على هيئة بديعة من الاحتفال . . وكانت الملوك تعني بذلك وتختار له أصناف الناس من العلماء والأعيان ، والتجار والقاضي وشيخ الركب ، وغير ذلك مما يضاهاه ركب مصر والشام وغيرهما ، فوجه السلطان ولده المذكور في جماعة من علماء المغرب وأعيانه مثل الفقيه العلامة القاضي أبي الفضل العباس بن كيران ، والفقيه الشريف البركة المولى الأمين بن جعفر الحسيني الرتبي ، والعلامة الفقيه الشهير أبي عبدالله محمد العربي السواحلي وغيرهم من علماء المغرب^(١) إلى أن قال : ولما اجتمع^(٢) بالشريف المولى إبراهيم أظهر له التعظيم الواجب لأهل البيت الكريم ، وجلس معه كجلوس أحد أصحابه وحاشيته وكان الذي تولى الكلام معه الفقيه القاضي أبو إسحاق إبراهيم الزداجي فكان من جملة ما قال ابن سعود لهم : إن الناس يزعمون أننا مخالفون للسنة المحمدية فأى شيء رأيتمونا خالفنا من السنة وأي شيء سمعتموه عنا قبل اجتماعكم بنا ، فقال القاضي : بلغنا أنكم تقولون بالاستواء الذاتي المستلزم لجسمية المستوي . فقال لهم : معاذ الله إنما نقول كما قال الإمام مالك : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة . فهل في هذا مخالفة؟ قالوا : لا . وبمثل هذا نحن أيضاً نقول ثم قال القاضي : وبلغنا أنكم تقولون بعدم حياة النبي ﷺ وحياة إخوانه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في قبورهم ، فلما سمع ذكر النبي ﷺ ارتعد ورفع صوته بالصلاة عليه . وقال : معاذ الله إنما نقول إنه ﷺ حي في قبره وكذا غيره من الأنبياء حياة فوق حياة الشهداء ، ثم قال القاضي : وبلغنا أنكم تمنعون من زيارته ﷺ ، وزيارة سائر الأموات مع ثبوتها في الصحاح التي لا يمكن إنكارها . فقال : معاذ الله أن ننكر ما ثبت في شرعنا ، وهل منعناكم أنتم لما

(١) انظر الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى ج ٨ ص ١٢٠ .

(٢) الضمير في اجتمع يعود إلى ابن سعود .

عرفنا أنكم تعرفون كيفيتها وآدابها، وإنما نمنع منها العامة الذين يشركون العبودية بالألوهية، ويطلبون من الأموات أن تقضي لهم أغراضهم التي لا تقضيها إلا الربوبية، وإنما سبيل الزيارة الاعتبار بحال الأموات، وتذكر مصير الزائر إلى ماصار إليه المزور، ثم يدعو له بالمغفرة. ويستشفع به إلى الله تعالى^(١)، ويسأل الله تعالى المتفرد بالإعطاء والمنع هذا قول إمامنا أحمد ابن حنبل رضي الله عنه، ولما كان العوام في غاية البعد عن إدراك هذا المعنى منعناهم سداً للذريعة، فأين مخالفة السنة في هذا القدر. ثم قال صاحب الجيش: هذا ما حدث به أولئك المذكورون سمعنا ذلك من بعضهم جماعة، ثم سألنا الباقي أفراداً فاتفق خبرهم على ذلك^(٢).

ثم قال المؤلف: وأقول بأن السلطان المولى سليمان رحمه الله كان يرى شيئاً من ذلك ولأجله كتب رسالته المشهورة التي تكلم فيها على حال متفكرة الوقت وحذر فيها رضي الله عنه من الخروج عن السنة والتغالي في البدعة، وبين فيها بعض آداب الزيارة للأولياء، وحذر من تغالي العوام في ذلك وأغلظ فيها مبالغة في النصح للمسلمين جزاه الله خيراً^(٣).

وقد نشأ عن اهتمام ملوك المغرب بالاتجاه السليم في العقيدة، لأنهم يبحثون عن الحكمة التي هي ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها أن رأينا منهم اهتماماً كبيراً بتنقية العقيدة:

١ — فهذا السلطان سيدي محمد بن عبدالله العلوي وصفه المؤرخ

(١) ابن سعد لا يقول هذا، ولكن آفة الأخبار رواها، لأنه منفي، فلا استشفاع بالميت إلى الله تعالى غير جائز، سواء كان يطلب الدعاء منه أو غير ذلك لأن عمله انقطع إلا من ثلاث علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له أو صدقة جارية كما صح الحديث، يرجع إلى التحقيق والايضاح لساحة الشيخ عبدالعزيز بن باز في آداب الزيارة.

(٢) الاستقصاء ج ٨ ص ١٢١-١٢٢.

(٣) نفس المصدر ص ١٢٣.

الفرنسي شارلي جوليان في كتابه تاريخ إفريقيا الشمالية تعريب محمد المزالى والبشير بن سلامة بقوله: وكان سيدي محمد وهو التقي الورع على علم بواسطة الحجيح بانتشار الحركة الوهابية في الجزيرة العربية وتأيد عائلة آل سعود لها، وقد أعجب بصرامتها وكان يؤثر عنه قوله: «إني مالكي المذهب وهابي العقيدة» ومضت به حماسته الدينية إلى الإذن بإتلاف الكتب المتساهلة في الدين حسب رأيه والمحلاة لمذهب الأشعرية، وتهديم بعض الزوايا مثل زاوية بوجاة^(١).

وقد توفي هذا السلطان في شهر رجب من عام ١٢٠٤هـ^(٢).

٢ - والسلطان سليمان التي مرت بنا مناظرته قد أحب هذه الدعوة وعمل جاهداً على إصلاح وضع المغرب برسالته التي عمم وبمحاربته للطرق الصوفية المنحرفة «المربوطية»^(٣) وكانت وفاته عام ١٢٣٨هـ، كما قال بذلك الناصري في كتابه الاستقصاء بعد أن أثنى على ديانتته وسيرته، وحرصه على محاربه الإلحاد والبدع^(٤).

٣ - والسلطان الحسن الأول في عام ١٣٠٠هـ، وجه رسالة إلى الشعب المغربي يودع فيها القرن. ويتحدث عن ضرورة الرجوع إلى الكتاب والسنة ومحاربة البدع، ويرغب في حسن العقيدة، كما قال بذلك الدكتور عباس الجراري في محاضرة ألقاها بجامعة الرياض سنة ١٣٩٩هـ، حيث قال: إنه عاش في السنوات الأولى لهذا القرن في المغرب مع الدعوة السلفية على يد أحد كبار العلماء المحدثين المغاربة، وهو الشيخ أبو شعيب الدكالي الذي أقام بمكة مدة تزيد على عشر سنين، وقام بتدريس الحديث في الحرم

(١) انظر هذا الكتاب ج ٢ ص ٣١١.

(٢) انظر خبر وفاته في الاستقصاء ج ٨ ص ٦٥.

(٣) انظر كتاب انتشار دعوة الشيخ محمد لمحمد كمال جمعة ص ٢٣٧-٢٣٨.

(٤) راجع ج ٨ ص ١٦٤-١٦٦.

المكي ، ثم عاد إلى المغرب حيث أصبح زعيماً للحركة السلفية لمدة تزيد على ربع قرن ، وبشر بالفكرة السلفية ، وحارب البدع والضلالات^(١) .

هذا إلى جانب اهتمام المسلمين بها في كل مكان ، وتحقيق طلبه العلم من صدق الهدف وبعدها عن مسارب البدع والخرافات التي أنكرها علماء الإسلام في كل مكان .

ولقد زاد الأمر وضوحاً أن الناس في كل مكان ماكانوا ليقنعوا إلا بماهو واضح يدعمه الدليل ، فوضح أمامهم أن محمد بن عبد الوهاب كغيره من الدعاة المصلحين جاء ليجدد الدعوة ، وينقي العقيدة من الفساد الذي أدخل عليها نتيجة الجهل ، أداء للأمانة ، ونصحاً للأمة ، ليعيد الناس بأعمالهم واعتقاداتهم إلى منهج السلف الصالح منذ عهد رسول الله ﷺ إلى نهاية القرن الثالث الهجري ، حيث بدأت البدع تدخل الصف الإسلامي نتيجة غلبة الأمم ، والتأثر بثقافات وأفكار الأمم الأخرى في معتقداتها ، ولضعف العلماء في أداء الأمانة .

وتعتبر الدولة الفاطمية التي ناوأها أهل المغرب في القرن الرابع الهجري ، فاتحة شر في تاريخ البدع في المجتمع الإسلامي ، وقد أبان عن أعمالهم ابن عذارى المراكشي في تاريخه البيان المغرب في تاريخ الأندلس والمغرب وأتى بالشيء الكثير من سيرهم وأعمالهم ، حيث يرى أنهم ليسوا من نسل فاطمة الزهراء ، وإنما يعودون إلى اليهود وأنهم من أصل غير شرعي حيث اتصلوا بابن الحلاج وأخذوا عنه هذا المعتقد^(٢) .

(١) من أراد رسالته هذه فليرجع لكتاب الترجانة الكبرى ص ٤٦٦-٤٧٠ .

(٢) انظر نسبهم في البيان المغرب ج ١ ص ١٥٨-١٥٩ . لأبن عذارى .

وبعد

فإذا كان الفقهاء رحمهم الله يقولون: الأصل براءة الذمة، ورجال القانون في العصر الحاضر كلمتهم المعهودة تقول: المجرم بريء حتى تثبت إدانته، وأصدق من ذلك قول الله عز وجل:

﴿ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحِرُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾^(١)

فإن من مهمات طالب العلم عدم الانسياق خلف كل قول، ومن دون تحقيق أو تثبت لأن زلة العالم كبيرة، وانسياقه خلف آراء أصحاب الأهواء يزرى بمكانته، ويقدر في عدالته، فلقد جاء في الأثر: إذا جاءك الخصم قد فقئت عينه فلا تحكم له فلفل الآخر قد فقئت عيناه .

ذلك أن الخصومة في الرأي أو المعتقد أو الحقوق، مداولة بين طرفين فلا يصح أن يؤخذ الحكم من جانب ويترك الجانب الآخر، وإلا أصبح في الحكم تحيز .

وإصدار الحكم عدالة يجب التثبت منها، والتروي في نتیجتها حتى لا تكون جائزة. لأن منهجنا في الإسلام حفظ اللسان من الزلل، والأعمال من الخطأ .

وميزان ذلك الحفظ، عرض كل أمر على كتاب الله وسنة رسوله الكريم: ﴿ فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَزُودُوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾^(٢) والحق أحق أن يتبع .

(١) سورة الحجرات آية ٦ .

(٢) سورة النساء آية ٥٩ .

يقول عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - : لأن أخطيء في العفو خير من أن أخطيء في العقوبة، هذا لرغبته رحمه الله عدم إيجاد نفرة في المجتمع الإسلامي : أفراداً وجماعات .

ولئن كانت هذه التسمية - الاصطلاحية - خطأ في النسبة، والمعتقد، كما كانت الآراء المنسوبة للشيخ محمد وأتباعه، خطأ، وتبرأوا من ذلك كتابة ومناقشة، فإن المتبعين لهذه العقيدة السلفية، هم أعرف بما تعنيه من دلالات واضحة من مصدرى التشريع في دين الإسلام: كتاب الله وسنة رسوله الكريم ﷺ، ولذا لم يتبرموا من هذا اللقب، لإدراكهم بأن ما قيل ماهو إلا محض افتراء، لا يثبت بالنقاش والمحاورة، فهم متبعون للمحجة البيضاء التي ترك سيدنا رسول الله ﷺ أصحابه عليها ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، وهي المأخوذة من قوله ﷺ وعمله وتقريره، بعد التوثق من ذلك صحة وسنداً .

فهذا عمران بن رضوان، وهو من مسلمي خارج الجزيرة، وعلماء بلده لنجه، عندما بلغته هذه الدعوة وتحقق عنها مدحها بقصيدة جاء فيها هذا البيت: (١) .

إن كان تابع أحمد متوهباً
فأنا المقر بأنني وهابي

وما ذلك إلا أن هذا اللقب كما قال العالم العراقي محمد بهجت الأثري : من وحي أعداء الإسلام، الذين كانوا يظنون أن العالم الإسلامي قد صار جثة هامدة لآحراكها، ولا بد أن تكون الدول الاستعمارية هي الوارثة لأرضه . وكنوزه ومعادنه وخيراته، فوضعت هذه الدعوة الجديدة التي انبعثت

(١) المذكور من علماء ووجهاء مدينة لنجد بإيران .

من قلب جزيرة العرب مدوية لجمع شمل المسلمين، وإنقاذهم من المهالك، في ثورة الطائفية التي تزيد أرقام الطوائف رقماً جديداً، أي عكست الحال. فنبتتها بالوهابية، وأذاعت هذا النبر الأنباء الذائعة الشهرة، فتلقفته الأسماع، ورددته الألسن، وراق الدولة العثمانية هذا النبر فأجرتة على السنة الدراويش ومرتزقة طعام التكايا والزوايا من تنابلة السلطان، وأفرطت في إلقاء الشبهات عليه وتشويهه، ولاسيما بعد استفحال شأنه، وقيام الدولة العربية الإسلامية في جزيرة العرب على أساسه وقواعده^(١).

ولقد رأيت من المناسب أن أختتم هذه الرسالة الموجزة بكتابين: أحدهما أرسله الشيخ سليمان بن عبد الوهاب إلى ثلاثة من علماء المجمع، والآخر من الشيخ محمد بن عبد الوهاب، لأهل القصيم، إلا أن تأريخهما بكل أسف لم يكن واضحاً. في هذا الكتاب يوضح الشيخ محمد منهجه في الدعوة، حيث طلب مني بعض علماء موريتانيا ذلك عندما زرت بلادهم في شعبان عام ١٤٠٧هـ، وذلك من باب إفادة القاري، وفتح المجال أمامه ليستوثق بنفسه ويحكم ويوازن من غير أن يفرض عليه رأي لم يقتنع به، وقد جعلتهما ملحقاتاً لهذا.. وما أردت إلا الإصلاح والتوفيق من الله العزيز الحكيم.

(١) انظر كتابه (محمد بن عبد الوهاب داعية التوحيد والتجديد في العصر الحديث) ص ١٦-١٧.

الملحق :-

أولاً :-

وإن من استكمال فائدة القاريء إيراد واحدة من رسائل الشيخ محمد التي بعث لأهل القصيم ، لما سألوه عن عقيدته للاطمئنان عن اتجاهه ، والرد عليه إذا كان مخالفاً لآراء العلماء ، لأن الناس هناك لم يستجيبوا لدعوته ، إلا بعد دراسة وتمحيص ، وهذا من مهمة العلماء في استجلاء الحقيقة ، ورد المعتدي ببصيرة وإدراك .

وهذا هو نص هذه الرسالة . . ولها نظائر مع كل من سأله أو اشتبه في أمره . . وتكون النتيجة الاستجابة لمن يريد الحق ، لأنهم لم يجدوا لدى الشيخ ما يخالف شرع الله أو يغيّر ما عليه أعلام أمة الإسلام من المصادر الموثوقة .

رسالة الشيخ إلى أهل القصيم لما سألوه عن عقيدته: (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

أشهد الله ومن حضرني من الملائكة وأشهدكم أني أعتقد ما اعتقدته
الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة من الإيـمان بالله وملائكته وكتبه ورسله
والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، ومن الإيمان بالله الإيمان
بما وصف به نفسه في كتابه على لسان رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل،
بل أعتقد أن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، فلا
أنفي عنه ما وصف به نفسه ولا أحرف الكلم عن مواضعه، ولا ألد في أسمائه
وآياته، ولا أكيف، ولا أمثل صفاته تعالى، بصفات خلقه لأنه تعالى لا سميَّ
لَهُ ولا كفؤَ لَهُ، ولأنـد لَهُ، ولا يقاس بخلقه فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره
وأصدق قِيلاً، وأحسن حديثاً فنزه نفسه عما وصفه به المخالفون من أهل
التكـييف والتمثيل: وعما نفاه عنه النافون من أهل التحريف والتعطيل
فقال: ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾

وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿٢﴾ والفرقة الناجية وسط في باب أفعاله تعالى بين
القدرية والجبرية، وهم في باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية؛ وهم وسط
في باب الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة، وبين المرجئة والجهمية، وهم
وسط في باب أصحاب رسول الله ﷺ بين الروافض والخوارج.

(١) نشرت هذه الرسالة في القسم الخاص للرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبد الوهاب تصنيف
د. محمد بلتاجي. و. د. سيد حجاب والشيخ عبدالعزيز الرومي وهي الرسالة الأولى ص ٧-
ص ١٣. نقلاً عن الدرر السنية ج ١ ص ٢٨-٣١.

(٢) الصافات الآيات: ١٨٠-١٨٢.

وأعتقد أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود: وأنه تكلم به حقيقة وأنزله على عبده ورسوله وأمينه على وحيه وسفيره بينه وبين عباده نبينا محمد ﷺ، وأومن بأن الله فعال لما يريد، ولا يكون شيء إلا بإرادته، ولا يخرج شيء عن مشيئته، وليس شيء في العالم يخرج عن تقديره ولا يصدر إلا عن تدبيره ولا محيد لأحد عن القدر المحدود ولا يتجاوز ما خط له في اللوح المسطور .

وأعتقد الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت، فأومن بفتنة القبر ونعيمه، وبإعادة الأرواح إلى الأجساد، فيقوم الناس لرب العالمين حفاة عراة غرلا تدنو منهم الشمس، وتنصب الموازين وتوزن بها أعمال العباد فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون، وتشر الدواوين فأخذ كتابه يمينه، وأخذ كتابه بشماله .

وأومن بحوض نبينا محمد ﷺ بعروسة القيامة، وماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، آتيته عدد نجوم السماء، من شرب منه مرة لم يظمأ بعدها أبداً، وأومن بأن الصراط منصوب على شفير جهنم يمر به الناس على قدر أعمالهم .

وأومن بشفاعة النبي ﷺ وأنه أول شافع وأول مشفع، ولا ينكر شفاعة النبي ﷺ إلا أهل البدع والضلال، ولكنها لا تكون إلا من بعد الإذن والرضى كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾^(٣) وهو لا يرضى إلا التوحيد؛ ولا يأذن إلا لأهله، وأما المشركون

(١) الأنبياء آية : ٢٨ .

(٢) البقرة آية : ٢٥٥ .

(٣) النجم آية : ٢٦ .

فليس لهم من الشفاعة نصيب؛ كما قال تعالى:
﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ (١).

وأومن بأن الجنة والنار مخلوقتان، وأنها اليوم موجودتان، وأنها لا يفتنان؛ وأن المؤمنين يرون ربهم بأبصارهم يوم القيامة كما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته.

وأومن بأن نبينا محمداً ﷺ خاتم النبيين والمرسلين، ولا يصح إيهان عبد حتى يؤمن برسالته ويشهد بنبوته؛ وأن أفضل أمته أبو بكر الصديق؛ ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين، ثم علي المرتضى، ثم بقية العشرة، ثم أهل بدر، ثم أهل الشجرة أهل بيعة الرضوان، ثم سائر الصحابة رضي الله عنهم. وأتولى أصحاب رسول الله ﷺ وأذكر محاسنهم وأترضى عنهم واستغفر لهم وأكف عن مساوئهم وأسكت عما شجر بينهم، وأعتقد فضلهم عملاً بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (٢). وأترضى عن أمهات المؤمنين المطهرات من كل سوء، وأقر بكرامات الأولياء ومالهم من المكاشفات، إلا أنهم لا يستحقون من حق الله تعالى شيئاً ولا يطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله، ولا أشهد لأحد من المسلمين بجنة ولا نار إلا من شهد له رسول الله ﷺ، ولكني أرجو للمحسن وأخاف على المسيء، ولا أكفر أحداً من المسلمين بذنب، ولا أخرجهم من دائرة الإسلام، وأرى الجهاد ماضياً مع كل إمام براً كان أو

(١) المدثر آية: ٤٨ .

(٢) الحشر آية: ١٠ .

فاجراً، وصلاة الجماعة خلفهم جائزة، والجهاد ماض منذ بعث الله محمداً ﷺ إلى أن يقاتل آخر هذه الأمة الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل، وأرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين برهم وفاجرهم، مالم يأمرُوا بمعصية الله، ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به، وغلبهم بسيفه حتى صار خليفة وجبت طاعته؛ وحرَم الخروج عليه، وأرى هجر أهل البدع ومباينتهم حتى يتوبوا، وأحكم عليهم بالدين وأكل سرائرهم إلى الله، وأعتقد أن كل محدثة في الاسلام بدعة .

وأعتقد أن الإيمان قول باللسان، وعمل يعمل، بالأركان، واعتقاد بالجان، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وهو بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، وأرى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ماتوجهه الشريعة المحمدية الطاهرة .

فهذه عقيدة وجيزة حررتها وأنا مشغل البال لتطلعوا على ما عندي والله على ما نقول وكيل .

ثم لا يخفى عليكم أنه بلغني أن رسالة سليمان بن سحيم قد وصلت إليكم وأنه قبلها وصدقها بعض المنتمين للعلم في جهتكم، والله يعلم أن الرجل افترى عليّ أموراً لم أقلها، ولم يأت أكثرها على بالي . (فمنها) قوله : إني مبطل كتب المذاهب الأربعة، وإني أقول أن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء وإني أدعي الاجتهاد، وإني خارج عن التقليد وإني أقول إن اختلاف العلماء نقمة، وإني أكفر من توسل بالصالحين، وإني أكفر البوصيري لقوله يا أكرم الخلق، وإني أقول لو أقدر على هدم قبة رسول الله ﷺ لهدمتها، ولو أقدر على الكعبة لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزاباً من خشب، وإني أحرم زيارة قبر النبي ﷺ وإني أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهما، وإني أكفر من حلف بغير الله، وإني أكفر ابن الفارض وابن عربي، وإني

أحرق دلائل الخيرات وروض الرياحين وأسميه روض الشياطين . جوابي
عن هذه المسائل أن أقول سبحانه هذا بهتان عظيم . وقبله من بهت محمداً
ﷺ أنه يسب عيسى بن مريم ويسب الصالحين فتشابهت قلوبهم بافتراء
الكذب وقول الزور . قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

بِقَايَةِ اللَّهِ ﴾ الآية (١) بهتوه ﷺ بأنه يقول إن الملائكة وعيسى وعزيراً في النار .
فأنزل الله في ذلك : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا
مُبْعَدُونَ ﴾ (٢) .

وأما المسائل الأخر وهي أني أقول لا يتم إسلام الإنسان حتى يعرف
معنى لا إله إلا الله ، وأنني أعرف من يأتيني بمعناها ، وأنني أكفر الناذر إذا أراد
بنذره التقرب لغير الله ، وأخذ النذر لأجل ذلك ، وأن الذبح لغير الله كفر
والذبيحة حرام . فهذه المسائل حق وأنا قائل بها . ولي عليها دلائل من كلام
الله وكلام رسوله ، ومن أقوال العلماء المتبعين كالأئمة الأربعة ، وإذا سهل
الله تعالى بسطت الجواب عليها في رسالة مستقلة إن شاء الله .

ثم اعلموا وتدبروا قوله تعالى : ﴿ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَ كُرْهُ فَاسِقُ بْنُيَا
فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمَجْهَلَةٍ ﴾ الآية (٣) .

ثانياً : قال صاحب كتاب مصباح الظلام بعد اعتراضه على مانسب
لسليمان بن عبد الوهاب من رد على أخيه ، هذا وقد من الله وقت تسويد هذا
بالوقوف على رسالة لسليمان فيها البشارة برجوعه عن مذهبه الأول ؛ وأنه قد
استبان له التوحيد والإيمان ، وندم على ما فرط من الضلال والطغيان . وهذا
نصها :

(١) النحل آية : ١٠٥ .

(٢) الأنبياء آية : ١٠١ .

(٣) الحجرات آية : ٦ .

بسم الله الرحمن الرحيم

من سليمان بن عبد الوهاب إلى الأخوان : حمد بن محمد التويجري وأحمد
ومحمد ابنا عثمان بن شبانة^(١) .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فأحمد إليكم الله الذي لا إله
إلا هو، وأذكركم مامن الله به علينا وعليكم من معرفة دينه، ومعرفة ما جاء
به رسوله ﷺ من عنده، وبصرنا به من العمى، وأنقذنا من الضلالة .
وأذكركم بعد أن جيتونا في الدرعية، من معرفتكم الحق على وجهه،
وابتهاجكم به، وثنائكم على الله الذي أنقذكم، وهذا دأبكم في سائر
مجالسكم عنده، وكل من جاءنا بحمد الله يشنى عليكم . والحمد لله على
ذلك . وكتبت لكم بعد ذلك كتابين غير هذا أذكركم وأحضكم، ولكن
يا إخواني معلومكم ماجرى منا من مخالفة الحق، واتباعنا سبل الشيطان،
ومجاهدتنا في الصد عن اتباع سبل الهدى .

والآن معلومكم لم يبق من أعمارنا إلا اليسير والأيام معدودة؛ والأنفاس
محسوبة والمأمول منا أن نقوم لله ونفعل مع الهدى أكثر مما فعلنا مع الضلال،
وأن يكون ذلك لله وحده لا شريك له؛ لا لمأسواه، لعل الله يمحو عنا سيئات
مامضى، وسيئات مابقي .

ومعلومكم عظم الجهاد في سبيل الله؛ وما يكفر من الذنوب؛ وأن
الجهاد باليد واللسان والقلب والمال؛ وتفهمون أجر من هدى الله به رجلاً
واحداً .

والمطلوب منكم أكثر مما تفعلون الآن، وأن تقوموا لله قيام صدق؛ وأن
تبينوا للناس الحق على وجهه، وأن تصرخوا لهم تصريحاً بيناً بما كنتم عليه أولاً
من الغي والضلال .

(١) انظر مصباح الظلام للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن ص ١٠٤-١٠٨ .

فيا إخواني الله الله . فالأمر أعظم من ذلك فلو خرجنا نجاراً إلى الله في
الفلوات ، وعدنا الناس من السفهاء والمجانين في ذلك لما كان ذلك بكثير
منا .

وأنتم رؤساء الدين والدنيا في مكانكم أعز من الشيوخ . والعوام كلهم
تبع لكم . فاحمدوا الله على ذلك ولا تعتلوا بشيء من الموانع .

وتعلمون أن الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر لا بد أن يرى مايكره ،
ولكن أرشدكم في ذلك إلى الصبر ، كما حكى عن العبد الصالح لقمان في
وصيته لابنه ، فلا أحق من أن تحبوا الله وتبغضوا الله ، وتوالوا الله وتعادوا الله .

وترى يعرض في هذا أمور شيطانية . وهي أن من الناس من ينتسب
لهذا الدين ، وربما يلقي الشيطان لكم أن هذا ماهو بصادق ؛ وأن له ملحظ
دنيوي ؛ وهذا أمر مايطلع عليه إلا الله . فإذا أظهر أحد الخير فاقبلوا منه
ووالوه . فإذا ظهر من أحد شر وإدبار عن الدين فعادوه وكرهوه ؛ ولو أحب
حبيب .

وجامع الأمر في هذا : أن الله خلقنا لعبادته وحده لا شريك له ؛ ومن
رحمته بعث لنا رسولاً يأمرنا بما خلقنا له ، وبين لنا طريقه ، وأعظم ما نهانا عنه
الشرك بالله وعداوة أهله ؛ وأمرنا بتبيين الحق وتبيين الباطل . فمن التزم
ما جاء به الرسول فهو أخوك ولو أبغض بغض . ومن نكب عن الصراط
المستقيم فهو عدوك ولو هو ولدك أو أخوك .

وهذا شيء أذكركموه مع أي بحمد الله أعلم أنكم تعلمون ما ذكرت
لكم ، ومع هذا فلا عذر لكم عن التبيين الكامل الذي لم يبق معه لبس ،
وأن تذاكروا دائماً في مجالسكم ماجرى منا ومنكم أولاً ، وأن تقوموا مع الحق
أكثر من قيامكم مع الباطل فلا أحق من ذلك ولالكم عذر ، لأن اليوم الدين
والدنيا والله الحمد مجتمعة في ذلك فتذاكروا ما كنتم فيه أولاً في أمور الدنيا من

الخوف والأذى واعتلاء الظلمة والفسقة عليكم . ثم رفع الله ذلك كله بالدين وجعلكم السادة والقادة ، وذلك من آثار دعوة شيخ الإسلام ، وعلم الهداة الأعلام .

ثم أيضاً مأمّن الله به عليكم من الدين ، انظروا إلى مسألة واحدة ممانحن فيه من الجهالة قبل انتشار هذه الدعوة الإسلامية كون البدو تجرى عليهم أحكام الإسلام ، مع معرفتنا أن الصحابة قاتلوا أهل الردة وأكثرهم متكلمون بالإسلام ، ومنهم من أتى بأركانه ، ومع معرفتنا أنه من كذب بحرف من القرآن كفر ولو كان عابداً ، وأن من استهزأ بالدين أو بشيء منه فهو كافر وأن من جحد حكماً مجمعاً عليه فهو كافر ، إلى غير ذلك من الأحكام المكفّرات ، وهذا كله مجتمع في البدو وأزيد ونجى عليهم أحكام الإسلام اتباعاً لتقليد من قبلنا بلا برهان .

فيا أخواني تأملوا وتذكروا في هذا الأصل ، يدلّكم على ما هو أكثر من ذلك . وأنا أكثرت عليكم الكلام ؛ لوثوقي بكم إنكم ماتشكون في شيء فيما تحاذرون . ونصيحتي لكم ولنفسى ، والعمدة في هذا أن يصير دأبكم في الليل والنهار ، أن تجأروا إلى الله تعالى أن يعيذك من شرور أنفسكم وسيئات أعمالكم ، وأن يهديكم إلى الصراط المستقيم الذي عليه رسله وأنبيأؤه وعباده الصالحون ؛ وأن يعيذك من مضلات الفتن ، فالحق وضح وابلولج ، وماذا بعد الحق إلا الضلال .

فالله الله ترى الناس الذين في جهاتكم تبع لكم في الخير والشر ، فإن فعلتم ماذكرت لكم ما قدر أحد من الناس يرميكم بشرّ ، وصرتم كالأعلام هداية للحريران ، فإن الله سبحانه وتعالى هو المسؤول أن يهدينا وإياكم سبل السلام .

والشيخ وعياله وعيالنا طيبين والله الحمد، ويسلمون عليكم . وسلموا
لنا على من يعز عليكم والسلام . وصلى الله على محمد وآله وصحبه . اللهم
اغفر لكاتبها ولوالديه ولذريته ولمن نظر فيه فدعا له بالمغفرة وللمسلمين
وللمسلمات أجمعين .

ثم ذكر أنهم أجابوه برسالة ينبغي أن تذكر لما فيها من جواب حسن ثم
ذكرها بعد ذلك .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتُ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَ مَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ^(١)

وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ (٢)
 وقال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ فَاتَّقِ اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتَ وَأَعِزِّذْ خَلْفَكَ بِالْأَرْسَالِ وَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَدِيمِ إِنَّ دِينَكُمْ كَلِمَةٌ قَدْ أَفْضَحْنَاكَ عَنْهَا وَقَدْ جِئْنَاكَ بِآيَاتِنَا لَعَلَّكَ تَلْجَأُ إِلَى اللَّهِ فَاسْتَعِذَّ بِكَ مِنْ هَاجِرِكُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَفُتِنْتَ بِهِمْ بِمَا كَانُوا يَكُونُونَ ﴾ (٣)

(٣) الحشر آية: ٧ .

وقال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾^(١)

فأخبر سبحانه أنه أكمل الدين وأتمه على لسان رسوله ﷺ وأمرنا بلزوم ما أنزل إلينا من ربنا، وترك البدع والتفرق والاختلاف فقال تعالى: ﴿ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾^(٢) وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾^(٣)

والرسول ﷺ قد أخبر بأن أمته تأخذ مأخذ القرون قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع وثبت في الصحيحين وغيرهما عنه ﷺ أنه قال: «لتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» قالوا يارسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟ وأخبر في الحديث الآخر أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة قالوا: من هي يارسول الله؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي .

إذا عرف هذا فمعلوم ما قد عمت به البلوى من حوادث الأمور التي أعظمها الإشرak بالله والتوجه إلى الموتى وسؤالهم النصر على الأعداء وقضاء

(١) المائدة آية: ٣ .

(٢) الأعراف آية: ٣ .

(٣) الأنعام آية: ١٥٣ .

الحاجات وتفريج الكربات التي لا يقدر عليها إلا رب الأرض والسموات وكذلك التقرب إليهم بالندور وذبح القربان ، والاستغاثة بهم في كشف الشدائد وجلب الفوائد إلى غير ذلك من أنواع العبادة التي لا تصلح إلا لله .
وصرف شيء من أنواع العبادة لغير الله كصرف جميعها لأنه سبحانه أغنى الشركاء عن الشرك ولا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً كما قال تعالى :

﴿ فَأَعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ۚ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ۙ ﴾ (١)

فأخبر سبحانه أنه لا يرضى من الدين إلا ما كان خالصاً لوجهه وأخبر أن المشركين يدعون الملائكة والأنبياء والصالحين ليقربوهم إلى الله زلفى ويشفعوا لهم عنده ، وأخبر أنه لا يهدي من هو كاذب كفار فكذبهم في هذه الدعوى وكفرهم فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ۙ ﴾

وقال تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ

وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي

السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۙ ﴾ (٢) فأخبر أن من جعل بينه وبين الله وسائط يسألهم الشفاعة فقد عبدهم وأشرك بهم وذلك أن الشفاعة كلها لله كما قال تعالى : ﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا ۙ ﴾ (٣)

(١) الزمر آية : ٢ ، ٣ .

(٢) يونس آية : ١٨ .

(٣) الزمر آية : ٤٤ .

فلا يشفع أحد إلا بإذنه كما قال تعالى :

﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾^(١)

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾^(٢)

وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد كما قال تعالى :

﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ﴾^(٣)

وقال تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ

اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي

الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مَنِ ظَاهِرٍ

وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾^(٤)

فالشفاعة حق ولا تطلب في دار الدنيا إلا من الله تعالى كما قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ

الْمَسْكُودَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾^(٥) وقال : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ

مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ ﴾^(٦) فإذا كان رسول

الله ﷺ وهو سيد الشفعاء ، وصاحب المقام المحمود ، وآدم فمن دونه تحت

لوائه لا يشفع إلا بإذن الله وصفوة الخلق محمد ﷺ لا يشفع ابتداء بل : « يأتي

(١) البقرة آية : ٢٥٥ .

(٢) طه آية : ١٠٩ .

(٣) الأنبياء آية : ٢٨ .

(٤) سبا آية : ٢٢ ، ٢٣ .

(٥) الجن آية : ١٨ .

(٦) يونس آية : ١٠٦ .

فيخر ساجداً فيحمده بمحامد يعلمه إياها ثم يقال ارفع رأسك، وقل
يُسمع، وسل تعط، واشفع تشفع ثم يجد له حداً فيدخلهم الجنة» فكيف
بغيره من الأنبياء والأولياء؟

وهذا الذي ذكرناه لا يخالف فيه أحد من علماء المسلمين بل قد أجمع
عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم ممن
سلك سبيلهم ودرج على منهجهم .

وأما ما صدر من سؤال الأنبياء والأولياء الشفاعة بعد موتهم وتعظيم
قبورهم ببناء القباب عليها والسرَج والصلاة عندها واتخاذها أعياداً وجعل
السدنة والنذور لها فكل ذلك من حوادث الأمور التي أخبر بوقوعها النبي ﷺ
وحذر منها كما في الحديث عنه ﷺ أنه قال : « لا تقوم الساعة حتى يلحق حي
من أمتي بالمشركين وحتى تعبد فئامٌ من أمتي الأوثان » وهو ﷺ حمى جناب
التوحيد أعظم حماية وسد كل طريق يوصل إلى الشرك فنهى أن يخصص
القبر، وأن يبنى عليه كما ثبت في صحيح مسلم من حديث جابر، وثبت فيه
أيضاً أنه بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأمره أن لا يدع قبراً مشرفاً إلا
سواه ولا تمثالاً إلا طمسه ولهذا قال غير واحد من العلماء يجب هدم القبب
المبنية على القبور لأنها أسست على معصية الرسول ﷺ .

فهذا هو الذي أوجب الاختلاف بيننا وبين الناس حتى آل بهم الأمر
إلى أن كفرونا وقاتلونا واستحلوا دماءنا وأموالنا حتى نصرنا الله عليهم وظفرونا
بهم ، وهو الذي ندعوا الناس إليه ونقاتلهم عليه بعد ما نقيم عليهم الحجة
من كتاب الله وسنة رسوله وإجماع السلف الصالح من الأئمة ممثلين لقوله
سبحانه وتعالى : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ

كُلَّهُ لِلَّهِ ۖ ﴾ (١)

(١) الأنفال آية : ٣٩ .

فمن لم يجب الدعوة بالحجة والبيان قاتلناه بالسيف والسنان كما قال تعالى :

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ
وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ
بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ
بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿١﴾ ، وندعوا الناس إلى إقام

الصلاة في الجماعات على الوجه المشروع وإيتاء الزكاة وصيام شهر رمضان
وحج بيت الله الحرام ونأمر بالمعروف ونهى عن المنكر كما قال تعالى :

الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا
بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ أَلْمُورِ ﴿٢﴾ .

فهذا هو الذي نعتقد وندين الله به فمن عمل بذلك فهو أخونا المسلم
له مالنا وعليه ما علينا .

ونعتقد أيضاً أن أمة محمد ﷺ المتبعين لسنته لا تجتمع على ضلالة وأنه
لا تزال طائفة من أمته على الحق منصوره لا يضرهم من خذلهم ولا من
خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك ، وصلى الله على محمد (٣) .

(١) الحديد آية : ٢٥ .

(٢) الحج آية : ٤١ .

(٣) اسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب : المجموع ج ٨ ص ١١٠-١١٥ الرسائل الشخصية وانظر
أيضا الدرر السنية .

رابعاً: دور الملك عبدالعزيز في تصحيح الخطأ:

والملك عبدالعزيز عندما دخل مكة عام ١٣٤٣ هـ، بعد سقوط الخلافة الإسلامية العثمانية، ثم بعد أن أنظمت المدينة وجده إلى لواء الدولة الجديدة، بقيادة الملك عبدالعزيز، قامت أصوات أجنبية عديدة تتهمه، بأمور عديدة هو منها براء . . فقالوا: إن مذهبه وهابي، وأنه مذهب خامس، وأنه امتنن قدسية الحرمين وأنهم ضربوا مسجد رسول الله ﷺ بالقنابل، وانتهكوا الأعراض، ولا يحبون النبي ولا يصلون عليه، وغير هذا من الأكاذيب التي تكررت من قبل، فجاء مجموعة من علماء أهل الحديث، وحجوا وزاروا مسجد الرسول، وبأن لهم كذب تلك الإدعاءات، وقد عادوا إلى الهند، ليردوا على الافتراءات، وليبينوا حقيقة مارأوا، وعقدوا مؤتمرين، رداً على مؤتمر لكنوء، ومؤتمر دلهي، وتحدثت: الصحف التي في مقدمتها: أهل حديث، وأخبار محمدي، وزمنيدار، عن حقيقة حال الملك عبدالعزيز، وما أحدثه في الحرمين من اصلاحات، مع اهتمامه بأمن الحجاج وراحتهم، وسلامة عقيدته، وحماسه لدين الله .

ولكي يوضح للمسلمين حقيقة العقيدة التي هو متمسك بها، نراه يرسل الكتب، ويتحدث في وفود الحجاج سنوياً، وكان من كلامه، ماجاء في خطابه الذي ألقاه في القصر الملكي بمكة، يوم غرة ذوالحجة عام ١٣٤٧ هـ الموافق ١١ مايو عام ١٩٢٩ م بعنوان «هذه عقيدتنا» جاء فيه قوله:-

يسموننا «بالوهابيين»، ويسمون مذهبنا «الوهابي» باعتبار أنه مذهب خامس، وهذا خطأ فاحش، نشأ عن الدعايات الكاذبة التي كان يبثها أهل الأغراض .

نحن لسنا أصحاب مذهب جديد، أو عقيدة جديدة، ولم يأت محمد

ابن عبد الوهاب بالجديد، فعقيدتنا هي عقيدة السلف الصالح، التي جاءت في كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وما كان عليه السلف الصالح.

ونحن نحترم الأئمة الأربعة، ولا فرق عندنا بين مالك والشافعي، وأحمد وأبي حنيفة، وكلهم محترمون في نظرنا، ونحن في الفقه نأخذ بالمذهب الحنبلي.

هذه هي العقيدة التي قام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب يدعو إليها، وهذه هي عقيدتنا، وهي عقيدة، مبنية على توحيد الله عز وجل، خالصة من كل شائبة، منزهة عن كل بدعة، فعقيدة التوحيد هذه هي التي ندعو إليها، وهي التي تنجيننا مما نحن فيه من محن وأوصاب.

أما التجديد الذي يحاول البعض، إغراء الناس به، بدعوى أنه ينجيننا من آلامنا، فهو لا يوصل إلى غاية، ولا يديننا من السعادة الأخروية.

إن المسلمين في خير ماداموا على كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وما هم ببالغين سعادة الدارين إلا بكلمة التوحيد الخالصة.

إننا لانبغي التجديد الذي يفقدنا ديننا وعقيدتنا، إننا نبغي مرضاة الله عز وجل، ومن عمل ابتغاء مرضاة الله، فهو حسبه، وهو ناصره، فالمسلمون لا يعوزهم التجدد، وإنما تعوزهم العودة إلى ما كان عليه السلف الصالح. ولقد ابتعدوا عن العمل بما جاء في كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، فانغمسوا في حماة الشرور والآثام، فخذلهم الله جل شأنه، ووصلوا إلى ما هم عليه من ذل وهوان، ولو كانوا متمسكين بكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، لما أصابهم ما أصابهم من محن وآثام، ولما أضاعوا عزهم وفخارهم.

لقد خرجت وأنا لأملك شيئاً من حطام الدنيا، ومن القوة البشرية، وقد تألب الأعداء عليّ، ولكن بفضل الله وقوته، تغلبت على أعدائي، وفتحت كل هذه البلاد.

إن المسلمين متفرقون اليوم طرائق، بسبب إهمالهم العمل بكتاب الله ،
وسنة رسوله ﷺ ، ومن خطل الرأي الذهاب إلى أن الأجانب هم سبب هذه
التفرقة ، وهذه المصائب ، إن سبب بلايانا من أنفسنا لا من الأجانب ، يأتي
أجنبي إلى بلد ما ، فيه مئات الألوف ، بل الملايين من المسلمين ، فيعمل
عمله بمفرده ، فهل يعقل أن فرداً ، في مقدوره أن يؤثر على ملايين من
الناس ، إذا لم يكن له من هذه الملايين أعوان يساعدونه ، ويمدونه بآرائهم
وأعمالهم ؟؟ ! .

كلّا ثم كلا ، فهؤلاء الأعوان ، هم سبب بليتنا ومصيبتنا ، إن هؤلاء
الأعوان هم أعداء الله ، وأعداء أنفسهم .

إذا فاللوم واقع على المسلمين وحدهم ، لا على الأجانب ، إن البناء
المتين لا يؤثر فيه شيء مهما حاول الهدّامون هدمه ، إذا لم تحدث فيه ثغرة ،
تدخل فيها المعاول ، وكذلك المسلمون ، لو كانوا متّحدين متفقين ، لما كان
في مقدور أحد خرق صفوفهم ، وتمزيق كلمتهم .

في بلاد العرب والإسلام ، أناس يساعدون الأجنبي على الإضرار
بجزيرة العرب والإسلام ، وضربها في الصميم ، وإلحاق الأذى بنا ، ولكن لم
يتم لهم ذلك إن شاء الله ، وفينا عرق ينبض .

إن المسلمين بخير ، إذا اتفقوا وعملوا بكتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ ،
ليتقدم المسلمون للعمل بذلك ، فيتفقون فيما بينهم على العمل بكتاب الله ،
وسنة نبيه محمد ﷺ ، وبما جاء فيها ، والدعوة إلى التوحيد الخالص ، فإنني
حينذاك ، اتقدم إليهم وأسير وإياهم جنباً إلى جنب في كل عمل يعملونه ،
وفي كل حركة يقومون بها .

والله إنني لا أحب الملك وأبهته ، ولا أبغى إلا مرضاة الله ، والدعوة إلى

التوحيد، ليتعاهد المسلمون فيما بينهم على التمسك بذلك، وليتقفوا، فإنني أسير وقتئذ معهم، لا بصفة ملك أو زعيم، أو أمير بل بصفة خادم (١).

وفي ٢٣ المحرم عام ١٣٤٨ هـ الموافق أول يوليو عام ١٩٢٩ م جاء في أحد خطابه: قد علمتم أن بعض الناس قد شذَّ عن طريق الهداية، وتنكب الطريق المستقيم، ووقع في أحابيل الشيطان، بفعل الدسائس التي يكيدها بعض من يدعون الإسلام، ويتظاهرون بالغيرة على الإسلام، والله يشهد أن الدين منهم براء، وبراء من أعمالهم، لقد قلت، ومازلت أقول: إنني لا أخشى من الأجانب، قدر ما أخشى من بعض المسلمين، فالأجانب أمرهم معروف، وفي الإستطاعة الحذر منهم، وفي الإمكان الإستعداد لصد هجماتهم، وإحباط دسائسهم، أضف إلى ذلك أنهم لا يقدرّون على محاربتنا باسم الإسلام، أما بعض المسلمين، فهم مازالوا يكيّدون لنجد وأهل نجد باسم الإسلام والمسلمين، ويحاربون إخوانهم المسلمين، باسم الإسلام منذ عصور.

كانت الدولة العثمانية، وقد كانت أقرب الناس بصفقتها دولة اسلامية، فحاربتنا باسم الإسلام والمسلمين محاربات شديدة، وأحاطت بنا من كل جانب، حاربنا مدحت باشا من جهات القطيف والأحساء، وسيرت علينا من الحجاز واليمن قوات عظيمة، وكذلك سارت جيوشها من الشمال، فحاصرتنا من كل جانب للقضاء علينا وضرربنا في الصميم، حاربتنا باعتبار «الوهابية» مذهباً جديداً، وإن ابن عبد الوهاب جاء ببدعة جديدة، وأن «الوهابيين» تجب محاربتهم، إلى غير ذلك من الأقوال المنمّقة، التي انطلت

(١) انظر المصحف والسيف جمع مجد الدين القاسبي ص ٥٥-٥٦.

على أصحاب العقول السذج، من الدهماء، فانخدعوا وأتعادوا لأقوالها،
ولكن الله نصرنا عليهم .

وكذلك فعل غيرهم في هذا الزمان، فحوصرنا من كل جانب، وأرادوا
القضاء علينا باسم الدين ايضاً، ولكن الله نصرنا عليهم، وجعل كلمته هي
العليا، وقد نصرنا الله بقوة التوحيد الذي في القلوب، والإيمان الذي في
الصدور، ويعلم الله أن التوحيد لم يملك علينا عظامنا وأجسامنا فحسب،
بل ملك علينا قلوبنا وجوارحنا، ولم نتخذ التوحيد آله لقضاء مآرب
شخصية، أو لجر مغنم، وإنما تمسكا به عن عقيدة راسخة وإيمان قوي
ولتجعل كلمة الله هي العليا^(١) .

ولا يسعني بعد ذلك الجهد المتواضع إلا أن أسأل الله سبحانه وتعالى
أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به طلاب العلم
والمعرفة

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين .

(١) انظر المصدر السابق ص ٥٨-٥٩ .

المصادر والمراجع

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - الأعلام، للزركلي .
- ٣ - الأحاديث القدسية .
- ٤ - الاستقصا، لأخبار دول المغرب الأقصى، للناصري .
- ٥ - الإِعلام بمن حل مراكش وأغمت من الأعلام للعباس بن إبراهيم .
- ٦ - الإمام محمد بن عبد الوهاب، لعبدالله بن سعد بن رويشد .
- ٧ - المعيار المغرب، لأبي العباس الونشريسي .
- ٨ - البيان المغرب، في أخبار الأندلس والمغرب، لأبن عذاري .
- ٩ - تاريخ إفريقيا الشمالية، تأليف: شارلي اندري، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة .
- ١٠ - الحلل السندسية .
- ١١ - الفرق الإسلامية في شمال افريقيا، تأليف: الفردبل ترجمة عبدالله بدوي .
- ١٢ - المغرب الكبير، للدكتور عبدالعزيز سالم والدكتور جلال يحيى .
- ١٣ - الكامل، للمبرد .
- ١٤ - الوهابيون والحجاز، لمحمد رشيد رضا .
- ١٥ - رحلة سادلير، ترجمة أنس الرفاعي .

- ١٦ - الدرر السنية في الفتاوي النجدية، جمع سليمان بن سحمان .
- ١٧ - الإمام محمد بن عبد الوهاب، دعوته وسيرته للشيخ عبدالعزيز بن باز .
- ١٨ - تاريخ نجد، للشيخ حسين بن غنام، تحقيق الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ والدكتور محمد أسد .
- ١٩ - الدولة السعودية، للدكتور عبدالرحمن عبدالرحيم .
- ٢٠ - عجائب الآثار في التراجم والأخبار، لعبدالرحمن الجبرتي .
- ٢١ - مؤلفات ورسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب، جمع ونشر جامعة الإمام - الرياض .
- ٢٢ - محمد بن عبد الوهاب، لأحمد بن حجر آل طامي .
- ٢٣ - مصباح الظلام للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن .
- ٢٤ - عنوان المجد في تاريخ نجد، لابن بشر .
- ٢٥ - محمد بن عبد الوهاب، داعية التوحيد والتجديد في العصر الحديث، لمحمد بهجت الأثري .
- ٢٦ - البيان المفيد فيما اتفق عليه علماء مكة ونجد من عقائد التوحيد الطبعة الأولى .
- ٢٧ - محمد بن عبد الوهاب . مصلح مظلوم، تأليف مسعود الندوي .
- ٢٨ - السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة لابن حميد (مخطوط) .
- ٢٩ - علماء نجد خلال ستة قرون، للشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام .
- ٣٠ - في ظلال القرآن، لسيد قطب .

- ٣١ - مجلة كلية الآداب بفاس (شعبة التاريخ) .
- ٣٢ - جريدة، «عكاظ» .
- ٣٣ - صحيفة (ISLAMIGA) الألمانية - مجلد ٧ عام ١٩٣٥ .
- ٣٤ - جامع الأصول في أحاديث الرسول لأبن الأثير .
- ٣٥ - روضة الناظرين في مآثر علماء نجد وحوادث السنين لمحمد بن عثمان القاضي .
- ٣٦ - الترجمانة الكبرى .
- ٣٧ - رحلة بورك هارت لبلاد العرب .

المحتويات

٧	مقدمة الطبعة الثالثة
٩	سبب التأليف
٣٧	مقدمة الطبعة السابقة
٣٩	تمهيد
٥٨	الوهابية أو الوهبية . . . من هم؟
٦٣	الاستعمار ومواجهة الدعوة
٧٥	الدولة العثمانية والدعوة
٨٢	شبهات الخصوم
٨٧	عودة لاثارة الشبهات
٩٠	خصوم الدعوة من داخل المنطقة
٩٦	الهدف من التسمية
١٠٣	من نتائج الخصومة
١١٣	وبعد
١١٦	الملحق
		أولاً: رسالة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى أهل القصيم لما سألوه
١١٧	عن عقيدته
١٢٢	ثانياً: رسالة لسليمان فيها البشارة برجوعه عن مذهبه الأول
١٣٢	ثالثاً: رسالة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لأهالي المغرب
١٣٢	رابعاً: دور الملك عبدالعزيز في تصحيح الخطأ
١٣٧	المصادر والمراجع
١٤٠	المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم

صدر لي من الكتب

أولاً: الإسلاميات :

- ١ - حماية الإسلام للمرأة .
- ٢ - المرأة بين نور الإسلام وظلام الجاهلية .
- ٣ - العقوبة في الشريعة الإسلامية .
- ٤ - حسن الخلق ومكانته وحقيقته .
- ٥ - بين الشك واليقين .
- ٦ - الأمن والأمان في القرآن الكريم .
- ٧ - الغيبة والنميمة .
- ٨ - وقفات مع أبي ربه في كتابه دين الله واحد

ثانياً: الآداب :

- ٩ - الحصريان .
- ١٠ - الحصري القيرواني والنقد في زهر الآداب .
- ١١ - أبو الشمقمق شاعر الفقر والسخرية .
- ١٢ - عبدالله بن رواحة رائد الشعر الجهادي في الإسلام .

ثالثاً: التاريخ :

- ١٣ - فصول من تاريخ شقراء .
- ١٤ - فصول من تاريخ حائل .
- ١٥ - نجد قبل ٢٥٠ عاماً .
- ١٦ - تصحيح مفهوم تاريخي حول دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

الكاتب في سطور:

* ولد بشقراء وفيها درس الابتدائية . ثم انتقل للرياض حيث درس في معهد الرياض العلمي وكلية اللغة العربية .

* أخذ الماجستير ثم الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى من الأزهر عام ١٩٧٧ م - ١٣٩٧ هـ .

* دبلوم تربية من بيروت عام ١٩٦٧ هـ .

* دبلوم إحصاء من جامعة القاهرة عام ١٩٧٥ هـ .

* عمل في التعليم بوزارة المعارف ثم برئاسة تعليم البنات وكان مديراً عاماً للتعليم المتوسط .

* انتقل للرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد حيث يعمل الآن مستشاراً بمكتب سماحة مفتي عام المملكة العربية السعودية ورئيساً لتحرير مجلة البحوث العلمية الصادرة عن هيئة كبار العلماء .

* له مشاركات في العديد من الصحف محلياً وخارجياً .

* حضر العديد من المؤتمرات في داخل المملكة وخارجها .

محمد الشويعر